قصة ملعونة

رواية

سوزان خليفة

دار بيوند للنشر والتوزيع

obeikan.com

دار بيوند للنشر والتوزيع

الطبعة الثالثة

الكتاب: قصة ملعونة

المؤلف: سوزان خليفة

تصنيف الكتاب: رواية

تصميم الغلاف: محمد علي

إخراج داخلي: صبرينة غلمي

المقاس: 14*20

رقم الإيداع: 3248 / 2018

الترقيم الدولي:978-977-6645-11-0

رئيس مجلس الإدارة

محمد عز الدين

المدير العام

صبرينة غلمي

All Rights Reserved

Beyond for Publishing and Distribution

+2 01095600007

beyond.dbh@gmail.com

www.facebook.com/beyond.PDH

جميع الحقوق محفوظه للمؤلف ودار النشر

إلى وحدتي التي اكتملت بالفقد.

obeikan.com

"يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ"

قرآن کریم

obeikan.com

كلمة الأستاذ

محمد عصمت

هات كرسيك وتعال اقترب لأخبرك عن روايتنا اليوم، رواية تتحدث عن عوالم الجان، ملوك الجان الذين يتصارعون علي حُب و عشق إنسية جميـ...

ما لك تتململ علي كُرسيك..؟ تعتقد أنها قصة تقليدية من تلك التي تعُج بها مئات الروايات والقصص، أليس كذلك..؟ اِسمح لي أن أخبرك أنك مُخطئ وأيما خطأ يا صديقي.

كاتبتنا الجميلة الأستاذة/ سوزان كامل. خطت بقلمها الراقي ولغتها الرصينة كلمات تجذب الألباب وتسحر القراء.

قصتنا اليوم رغم تقليديتها، إلا إن الكاتبة خطتها بوعي وإدراك، خرجت بأفكارها خارج الصندوق كما يقولون، تفردت وحيدة لتناقش الفكرة من منظور آخر، تُظلله سحابات الإبداع إنسية جميلة وملائكتها الحارسين.

قبائل الجان وملوكهم الغاضبين، وفتى اتخذ من النذالة سلوكًا، قلب مكسور مجروح يقود صاحبته لقرار خطير و نهاية لن تتوقعوها.

سوزان كامل قلم مُبدع وأتوقع أن يكون لها شأن آخر في المُستقبل القريب.

مُحَمَّد عصمت

كلمة الدكتور

نافذسمان

تُعتبر قراءة و تقييم الأعمال الأولى لأي كاتب من أصعب المهام التي تواجهني أنا شخصياً. فإن كان في العمل أخطاء ما، عليك أن تُصارح الكاتب ليتداركها وليحاول أن يُطوّر أدواته الكتابية، وفي نفس الوقت، عليك مراعاة أن للعمل الأول رهبته وأهمّيته، وأيّ نقد قاسٍ قد يؤثر سلباً على اندفاعة الكاتب و طموحه الذي قد يصدمه الكمون ويستولي عليه اليأس.

مؤخراً، بتّ أتعامل مع الأعمال الأنثوية بحذر، إلا أن الرواية التي أنا بصدد الحديث عنها قد جذبتني من فاتحة كلماتها، وسرعان ما وهبتني جذالة الحروف أجنحة طرت بها بعيداً، فتلذذتُ بجميل الصور ورِقة الوصف، وكم من مرّة أغمضت عيني لا لأتخيّل المشهد، بل لأعيشه، لأستمتع به.

طبعاً ككلّ أحلامنا كان عليّ أن أعود لأرض الواقع الذي رفضت الكاتبة المُجيدة سوزان خليفة أن تُفارقه، وتابعت روايتها لتصف شيئاً قالت أنه واقعيّ وأحبت أن تُشاركنا طرحه ومناقشته.

استمرت الرواية بسردها الهادئ الخفيض لتعكس راويةً متمكنة من لُغتها، غير مُتعجلة لما تريد طرحه، فخرجت من الوصف النفسي الداخلي برشاقة لتتابع وصف المحيط بلغة لم يهبط رتمها أو يقلّ لمعان كلماتها.

استمتعتُ بقراءة (قصّة ملعونة) وسعدتُ باكتشافي موهبة نسائية تعتمد الفُصحى الرشيقة في حوارها، وزاد من سعادتي بأنني من أصدقاء تلك الموهبة التي أتمنى عليها الاستمرار والمتابعة والتمسك بجميل لغتها و بديعها قصة ملعونة ، تستحق القراءة.

سوزان خليفة ، شكراً لهذه الوجبة كاملة الدسم.

مع كل أمنياتي بالتوفيق

نافذ سمان

كلمة الأستاذ الدكتور

محمد سمير رجب مؤسس الحراك الثقافي

مؤخرا، أصبحت أعلق نفسي أكثر بأسلوب الكاتب ، معتبرا بذلك الرأي العبقري للعلامة "جورج لويس لوكلير" والذي يقول فيه : الأسلوب هو الكاتب ..

و لعل هذا لا ينقض الرأي القديم الذي وزع الأهمية بين الموضوع و الأسلوب بحيث لا يستطيع أحد فصلهما عن الآخر .. فهنري جيمس شبهما بالخيط و الإبرة لا يمكن أن تستغل أحدهما دون الآخر ..

غير أني لازلت رغم ذلك أجدني منحازا للأسلوب كدليل أساسي و حتمي لوجود موهبة حقيقية ، بل و كضامن هام جدا لجودة العمل الفني ..

ولعل المعادلة تتضح حين نقول إن وجود عدد لا نهائي من الأفكار في رأس ما لا تكفي لإنبات أديب جيد .. فالكتابة الأدبية هي في مبدأ الأمر قدرة على صياغة الأفكار ، و رص الكلمات ، و مزج الأساليب البلاغية و استطاعة على التجسيد و التمثيل و الإيهام ، وكلها كما نرى أقرب إلى الأسلوب منها إلى الموضوع ..

ولعلنا في هذا المقام نتذكر قول الجاحظ : "إن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي و العربي و القروي و البدوي" .. فالمعاني و الموضوعات ممنوحة ، لكن الأسلوب و إتقان التعبير بذل و جهد يتعين على الكاتب معاناتهما لكي يستقيم أدبه ..

و أديبتنا الأستاذة سوزان كامل يتحقق فيها شرطي بأدق تفاصيله .. فلغتها جميلة رقراقة و وصفها دقيق و معبر .. و تشبيهاتها تصيب ولا تخيب .. بل يمكن وصفها بما كان الأوائل يصفون به الشعر فنقول إن كتابتها "مائية" .. فالمائية – كما يقول شكري محمد عياد – هي ضد الجفاف "التحديد"، كما تفيد الجريان "الحركة" ، و سرعة التمثيل في الجسم – أو العقل - و السيولة و الشفافية .. فهي بتعبير آخر صاحبة أسلوب "يصف و يشف" ، لذلك فهو يفتن!

ولعلي أحرف الكلم فأقول أن أسلوبها هوائي و ليس مائيا فقط.. فالماء أحيانا قد يعيق رؤية ما وراءه ، كما أن ملمسه ليس بلطيف على الدوام خاصة إذا اشتدت البرودة .. فلغتها إذن كريح ربيعية تشعر بطيبها ولطف ملمسها و لا تعيقك عن رصد جمال العالم و الإحاطة به ..

و قد استمتعت بالكتابة أكثر مما استمتعت بالحرب الحرون الدائرة بين ممالك ثلاث من الجن تتنازع فيما بينها عهدا يردن أن تقطعه فتاة وحيدة منعزلة لم تعرف طريقا لوصال العالم من حولها .. وحتى حين عرفت الوصل ، انقطع أملها و خاب ظنها ..

فتاة بريئة تتفتح كالزهرة لتطالع أول ما تطالع حوافر و أنياب و مخالب .. وما بين براءتها التامة و بين جشع هذا العالم و قسوته تتولد المفارقة بين الفتاة و أسلوب تسجيلها للأحداث بلغة رومانتيكية حالمة و الواقع الدميم الذي يجعلها هدفا لأبشع كائنات هذا العالم ..

فاللغة الجميلة تكسر حدة الحدث و تجعلني لا أقتنع تماما بأني أمام عمل رعب.. و انبهاري برقرقة اللغة يحميني من الدم و التعاويذ و الروائح الكبريتية الكريهة .. فأجدني طوال الرواية أتشمم ريح عطر "نارين" مشدوها باستسلامها أول الرواية أمام فتنتها حين رأت صورتها في المرآة.. فهل كان

يمكن أن يصور هذا المشهد بأروع مما فعلت الأستاذة "سوزان"؟.. لا أظن .. ولا أظن أن أدب الرعب نهاية مطافها ، فهذه اللغة لابد أن نجربها على أشكال مختلفة من الرواية حتى تظهر كل إيجابياتها و رونقها و قدراتها ..

obeikan.com

لم تطلُعُ الشمسُ، محدّبةً على الروحِ، كي تدفِّئَها، مثلما لمْ تطلُعْ مِن قبلُ أبدًا..

ليمرَّ يومٌ آخر مِن بين أيامِ العمرِ، كئيبًا، ككلِّ الأيامِ المكررةِ التي لمْ أستطعْ عدّها، دونَ إيجادِ حلٍّ لما ألمَّ بي.

فكالعادةِ المحمومَةِ أجلسُ وحيدةً بغرفتي، ذاتِ الطابعِ الكلاسيكيِّ، الباهتِ، التي تناسِبُ هيئتي بكثيرٍ ملموسٍ أكثرَ من ذوقي المهضومِ بلا جوعٍ. أثاثُ الغرفة منمّنقٌ مثل نفسي التي ككونٍ، شاحبٍ، يتميزُ باللونينِ الأسودَ والفضي. الجُدرُ مطليّةٌ بالأبيض الناعمِ، المائلِ نحو لون الحُلم، يبعثُ الطُمأنينةَ داخلَ روحي المرهقةَ. ضوءُ القمرِ المتوجِّد، أراهُ عبر شرفتي، يتخلّلُ ستائري الشاحبةَ، شاحبًا، ككلِ الأشياءِ في مرمى النظرِ.

أستنشِقُ العبقَ من الأحرفِ الشهيةِ في الكتابِ الذي احتضنته اليدُ، منذُ فترةٍ طويلةٍ، لا أستطيعُ عدّها، قدْ تغلبتُ فيها على الجوعِ، فلطالما عشقتُ القراءةَ، أُضفِّر عبرها الحلمَ تُلوَ الحلمِ، والأملَ تُلوَ الأملِ، أهربُ من حياتي التي بلا لونٍ، بينَ السطورِ والصفحاتِ النديّةِ، منغمسةً في الكلماتِ التي أراها أقربَ انتماءً لي من أيّ شيءٍ آخر كي أكونَ من جنسها. أنقمُ على الحياةِ السجنِ، حيثُ أراني هنا مكبلةً بأصفادٍ عتيقةٍ عقيمةٍ، لا يحقُّ لي أن أختار فيها ولا أن أعبّرَ عن رأيي.

سِجنٌ ممدودُ العمرِ، خانقٌ، ذلك الذي أعيشُه، نُسج بأيديهم المانعةِ منذُ نعومةِ أظفاري حولَ شغافِ النفسِ التي ككونٍ، تلك مجملُ حياتي. أعاقَبُ وهمًا على كوني أملِكُ شيئًا من الجمالِ الفارسي، إذ أراني عبر مرآة الحلم، والقبولِ اللدني، وبشاشةِ الوجهِ. أحبني الجميعُ مِن أجل ذلكَ، يعشقونُ ابتسامتي، نظرتي، إطلالتي، ملامحَ الوجهِ القمري عفويةَ التشكيل، قوامي البديعَ ، مكتملَ التنزيلِ. رغم ذلك، كُرِهتُ كثيرًا دونَ سبب. لم أتوقع أن يكمنَ هذا الكمُ الوافِرُ من الحقدِ والكرهِ لي، داخلَ نفوسِهم المظلمةِ، ماذا فعلتُ..؟ وكيف أذنبتُ..؟ وما حيلتي في هذا وذاك..؟ لا أدري.

بلا هُويةٍ أسيرُ خلفَهم، ليس على منوالِ خُطاهم، بلْ على خُطىً خُصِّصتْ لي؛ كي أظلّ وحيدةً على قيدِ حياةٍ مملةٍ، ولم يكتفوا. بل سعوا

جاهدينَ في تحطيمِ كل معاني السعادةِ ودروبِ الأملِ في تلك الحياةِ، جعلوني على قيدِها مثلَ الكلمةِ في الورقِ، لا ليشاهدونني أتعايشها، ولكن لأشاهدَهم يُمارسونها، مرغمةً، على الخنوعِ والطاعةِ.

لا سبيلَ سِوى الطاعَة، طاعةٍ عمياء كالآلةِ، وإلا فإنهم يملكونَ وسائِل تعذيبٍ لا تأتي بخاطرِ بشر. كبرتُ، وكبُرَ الخوفُ مِن البشرِ معي، عشّشَ في القلب، انتهكَ الرُوح، لم تكن لدي، أبدًا، أدنى حقوق الكلمة.

آآآه.. مضى مِن العُمرِ، ومِن الحُلمِ، ومِن الرغبةِ ما مضى، لكنني، كنتُ أعلمُ على دوامِ تنفّسي المذبوحِ أنني لستُ وحيدةً، رُغم توحُّدي في اللاشيء.

كنتُ أشعرُ بوجودِ شيءٍ ما بالقربِ مني، كيانٍ خفيٍّ، روحٍ تمثلني، شيءٍ ما لا أعرفُ كنهه. غيرَ أنني لم أشعرْ بالخوفِ من ذلك. بل على العكس تمامًا، فقد كان يبثُّ بداخلي الطُمأنينةَ التي لم أستشعرها، والراحةَ، والأنسَ المفقودَ من جانبِ الأهل.

كنتُ أشعرُ بأن الشيءَ من حولي يزدادُ أشياءً، إذ زادت الأنفاسُ، فباتتْ الغرفةُ أكثر دِفئًا، وكأنّ لي عائلةً مِن عالمٍ آخر، لا أدري ما هي، ما نوعها، كأنها الكلماتُ. حتى إنني في الأوقاتِ التي يَستعذِبُني البكاءُ، أشعرُ بأكفٍ حانيةٍ تمسحُ الدموعَ، وأناملَ رقيقةٍ تُمسِّدُ على جبيني وشعري، تُرتِّبُ كاملَ جِسمي الملفوفِ طبقاتٍ، بعضُها فوقَ بعضٍ، مِن رحيقٍ مختومٍ.

مَرَّ عامٌ تُلوَ عامٍ تُلوَ صَبرٍ، دونَ ألفةٍ، وبلا جديدٍ، إلى أن بلغتُ وبلغتْ معي المفاتِنُ فارسيةُ المعنى، ثمانيةَ عشر عامًا.

هُنا كان تحوّلٌ حقيقيٌّ، للأحداثِ الرتيبةِ. فقدْ تجسّم أمامَ عينيّ مِن قِبل اللاشيءِ، خفيٌّ له رحيقُ الدفءِ، ذاكَ الذي لازمني طوالَ عمرٍ كاملٍ يتجاوزُ عمري، ولم أعرفه. لقدْ رأيتُه، وتحدثنا كثيراً. صِدقاً أخافني الأمرُ حدَّ الموتِ، في بداءَته، إذ انتصبَ شعرُ الجسمِ كاملًا، من روعةِ المنظرِ، كما انتصبَ مِن قبلُ رأسا نهديَّ، عِندما ساقتني الرغبةُ التي على شكلِ رجُلٍ شهيٍّ، إلى مداعبتِهما، قبلَ عامين، كنتُ عاريةً في المرَّتينِ.

البروز المتجدد، الذي كان يأخذه نهدايَّ الناهدانِ، أثقلَ الصدرَ وسقاهُ نُشوتينِ اثنتينِ، قد اكتملتا في الذهنِ: نشوةَ الاتزانِ، ونشوةَ المظهرِ.

أمامَ المرآةِ الشاحبةِ، التي في الحجرةِ، حاولتُ تبديلَ ثيابي الداخليةَ بعدَ منتصفِ ليلي الدائمِ. حاملةُ الصدرِ الكبيرةُ التي بلونِ الشفاهِ، أغرتني مِن بين ستةِ صدرياتٍ جدد، اخترتُهنَ بنفسي، بعد أن ضاقتْ على النهدينِ حاملاتُ صدري القديماتُ. تقدّمتُ بالقربِ مِن المرآةِ، عِندما تجرّدتُ من كل ثيابي، كانتْ نظرتي شاردةً في حبّتي النّوى، الورديتينِ، اللتين اعتلتا النهدينِ على طريقةِ الملوكِ، وسطَ شامتينِ مُدورتينِ، لهما اللونُ نفسه. وضعتها عليهما أُومِئُ بِجسمي يَمنةً ويَسرةً، وابتسامةٌ سعيدةٌ أقرّتها الروحُ على الوجهِ، جِراء ذلك.

نشوةُ الموقفِ أنستني الوقتَ، إذ ساقتني الرغبة التي على شكلِ الرجُلِ الشهيّ، فرُحتُ أملّسُ بيديه الوهميتين عليهما، أُفْركهُما، أُدغدِغُ برؤوسِ الأصابع رأسيهما. أغمضُ العينينِ في استحلابِ اللذةِ، لتقعَ الحاملةُ من يدي، وبصوتٍ خفيضٍ أُصدِرُ آهاتٍ جديدةً، لها طعمُ احتياجٍ دائم.

على حالتي مرّتْ نِصفُ ساعةٍ، تقريبًا، حتى امتلأتْ المرآةُ بما لم يكن مُتوقعًا. إذ انتهى الشررُ الذي استشعرتُه مِنها إلى عينيّ.

فزِعتُ وأخذني الذعرُ، مشت في جسمي قشريرة جهنمية، فانتصبَ شعرُ جِسمي بأكملهِ، حتى الزغبُ الذي لا أستطيعُ رُؤيتَه، طقطقَ مِثلَ جمرةٍ ملتهبةٍ. سقطتُ أرضًا كفرخٍ صغيرٍ، وكدتُ أفقِدُ الوعي، لكنني شذرًا تمالكتُ نفسي المشتتة. متنهدةً كغريقٍ تراجعتُ إلى الوراءِ خائرةَ القُوى، بِلا صوتٍ أستنجِدُ بِه أحدًا، لأختبئَ في الزاويةِ القصيةِ من الحجرةِ.

عاريةً مثلَ جنينٍ كامِلٍ، دَفنتُ وجهِيَ المرتعِدَ، مُنكمشةً على نفسي كأنما أنتظرُ موتًا لابد منه. نظرةُ الشررِ التي امتلأتْ بها المرآةُ، تابعتْ ذاكرتي، فرُحتُ أتنهّدُ في تسارعٍ مستمرٍ، حتى بكيتُ، بكيتُ بِلا صوتٍ، كما لو أن البكاءَ جديدٌ عليّ.

أنْ تختالُكِ نظرةُ الجحيمِ المستبدِّ، تِلك، في قارعةِ الوحدةِ بِلا ناجدٍ، تملأُ المرآةَ من أمامِكِ فجأةً؛ فذلكَ نذيرُ هلاكٍ ليس إلا. الذاكرةُ الخبيثةُ لا تزالَ

تُكرر المشهدَ في مركزِ الأطيافِ داخلي، بينما أنا لا أزال على حالةِ البكاءِ المكتومِ غير المنتهيةِ.

هذه النظرةُ الشرُ ليستْ لأصحابِ الأنفاسِ الدافِئة، هذا ما جالَ بخاطِري، وما حدثنيه القلبُ، فلطالما كانتْ أنفاسُهم حانيةً دافئةً، فكيفَ تكون الأذيةُ منهم..؟ حاولتُ الخروجَ من تقلُّصِي وانكماشي على نفسي، نظرتُ إلى جِسمي فإذا أنا عاريةً، مبلولةً بين الفخذين ومِن أسفلَ مني: «لقد تبولت، آآه.. أين ثيابي..؟ لم أنا عاريةٌ هكذا..؟» هذا ما جالَ بِخاطري، ناسيةً كلّ ما حدثَ قبل النظرةِ الشرِ، فنزلتْ دمعةٌ حارةٌ على ما أنا فيه مِن حالٍ. جذبتُ إليّ عباءةً سوداءَ كانتْ على حافةِ السريرِ، طرحتُها عليّ أسترُ بها العورةَ، معتدِلةً في جلستي الأرضيةِ، التي لم أستطع الوقوفَ مِنها، محاولةً الاتّزانَ، كي لا أفقدَ الوعي، فالخوفُ بترَ رِباطًا مُقدسًا بيني وبين نفسي، لكنّ شيئًا رغم ذلِك بداخلي أحسّني على التحلي بالشجاعةِ.

توجّستُ خِيفةً من كوني مريضةً نفسيةً، الأمر لا يحتمِلُ أبدًا لو كان كذلك، فهل أنا مريضةٌ حقًا..؟ لا أعلم. فلعلها هلاوسُ سمعٍ وبصرٍ، أو ربما ذهانٌ شريرٌ يُحاوِلُ أن يقتلَ وعيي، لكن الوعي يرفضُ تصديقَ كوني مريضةً، ويُثبِتُ لي حقيقةَ كلِّ الذين من حولي، أصحابِ الأنفاسِ الدافِئةِ، الطيبين.

الذي أخرجني مِن هذا التيهِ المرضيّ، ضبابٌ كثيفٌ، خرجَ من المرآةِ، له رائحةُ أنفاسِهم الطيبةِ. كادَ زجاجُ المرآةِ يذوبُ حليبًا خالصًا، حيث انسالَ الضبابُ مِن خلالها في مشهدٍ يُفقِدُ الوعي، لتستوي على إثرِهِ أمامَ عينيّ هيئةٌ كهيئتي، اتّخذتْ كلّ ملامِحي، مع اختلافٍ دَقيقٍ في لونِ الشَعرِ، إذ كانتْ لها خُصلةٌ بيضاءُ كوجهِها، تتوسطُ شعرَها حالِكَ السوادِ. تمتمتْ بكلماتٍ لها سَمتُ لغاتِ الجنّ، لم أفهمها، ولم أكنْ أستطيعُ النطقَ من هولِ الموقفِ، إذ انطبقتْ الشفتانِ صامتتينِ، ميتتينِ، أتنهّدُ لا أزالُ كأنما أنتظرُ الموتَ. ابتسامتُها الرقيقةُ، وهدوءُ ملامِحِها ودفؤها المبثوثُ الذي له الرائحة ذاتُها، جعلني أستعيدُ رِباطَةَ جأشي لأسألها: «من أنتِ..؟ تشبهينَني إلى حدٍ كبيرٍ، بحيثُ لا أستطيعُ أن أفرّقَ بيننا، هل أنتِ روحي..؟ هل حان موعدُ الموتِ..؟»

حاولتْ الحديثَ بالعربية كي أفهمُها، لكن بصعوبةٍ. حاولتْ تهدِئتي بكلماتٍ أشبهَ ما تكون بالبلسمِ، اقتربتْ ببطءٍ، مسحتْ على رأسي: «لا تعجلي – ابتسمتْ - المعرفةُ الآنَ قدْ تضرُّ أكثرَ مِن أن تنفعَ، أنا سيفري.»

حاولتُ الانكماشَ حولَ نفسي مرةً أُخرى، متحررةً مِن لمستِها، لكنّها أردفتْ وهيَ لا تزالُ على سمتِها: «عُمري مثلُ عُمرِكِ، فقدْ ولِدنا معًا، أنا أميرةُ الجنِّ الأحمر.»

اللفظةُ رنّتْ في الأعماقِ بداخلي، إذ كيفَ للجنِّ أنْ يتجسّد امرأةً أمامي، تتحدّثُ إليّ بهذهِ الطريقةِ..؟ ولماذا أنا..؟ تشجعتُ في مواجهتها: «وما شأني..؟ - سألتُ بثقةٍ لم أكنْ أعرفُ أنني أمتلكها - ولم اخترتيني بالذاتِ لِتخروجينَ لي من المرآةِ هكذا، فزعتُ من عينيكِ التي بدتْ شريرةً جدًا في البدايةِ.»

- لم تكن العينُ الشريرةُ لي على كلِّ حال، عيناي أكثر شبهًا من عينيكِ، ولكن ألم أخبرْكِ ألا تعجلي في طلبِ المعرفةِ..؟

كانتْ تنظُر لي نظرةَ ثقةٍ، تُحاولُ أنْ تبثّ في روحي الطُمأنينةَ، كأنما تخبرُني بنظراتِها الرحيمةِ أنها لن تمسني بسوءٍ. سادَ الصمتُ لبضعِ ثوانٍ، عادتْ للحديثِ قائلةً: «كان من الواجبِ عليّ ألا أخرجَ الآن، لكنَ العينَ الشريرةَ هي التي أرغمتني للخروجِ إليكِ، الآن يجبُ أن تنامي، وسوفَ يكونُ بيننا حديثٌ طويلٌ، فيما بعد.»

لا أعرف كيف اختفت، ولا كيف احتميت من العراء الذي اعتراني، ولا كيف نمت. لكنني أعرف شيئًا واحدًا فقط، أنني لم أكن أحلم.

الحلمُ الذي انتابَ الوعيَ الباطنيَّ في هذهِ النومةِ الغريبةِ الناعمةِ، كانَ جميلًا، وقدْ أحببتُه. رأيتُ طفلةً صغيرةً مثلَ فرخٍ جميلٍ يطوفُ من حولي، طفلةً أنجبتُها بلا زواجٍ ومِن غيرِ أبٍ تنسلخُ مِنه نُطفةً، أنجبتُها وحدي، أنا التي لمْ يأتِها الطمثُ أبدًا.

لم تتأخرْ سيفري، الجنيةُ التي تُشبهني، في الخروجِ إليّ مرةً ثانيةً، جاءتني بعدَ ذلِك بليالٍ ثلاثةٍ، كانتْ لذةُ الحُلمِ المتكررِ بالأطفالِ الصغارِ، لم

تزلْ تتمدّدُ ناعمةً في صفحةِ الذاكرةِ، أستلذُّ بهِ كُلّما أفقتُ مِن نوميْ.

قبلَ خُروجِها، نفثتْ سيفري دِفأها الذي لـه رحيقها الطيّبِ، حتى لا تفزعني، ثم خرجتْ من ضبابها الشفّافِ جِسمًا كجسمي، ألقتْ السلامَ وقالتْ قبلما أُجيبها: «كيف حالكِ اليوم، نارين..؟ أراكِ سعيدةً هذه الليلة.»

على الحالِ الغريبةِ التي أنا فيها حمدتُ الله الكريم، ثم قلتُ: «الآن جِئتِ مرةً ثانية، وأعتقدُ أنه من الواجبِ لي أن أعرفَ ما هي الحكاية.»

- أعرِفُ يا نارين، وهذا ما جِئتُكِ الآن مِن أجلهِ. لقدْ عقدنا اجتماعًا كبيرًا من أجلِ ذلكَ، وكانتْ النتيجةُ أنكِ لابدّ وأنْ تعرفي الحقيقةَ.
- أي حقيقةٍ..؟ تكلمي.

كانتْ ملامِحُها هادئةً، لكن على الرغمِ من ذلك صَحِبتها ارتباكةُ لستُ أعرِفُ كيفَ لاحظتُها، طلبتْ مِني ألا أشردَ بالفكرِ، حتى أستوعِبَ ما تودُّ قولَه. أومأتُ لها موافقةً وكلُ مشاعري معها. قالتْ: «لقد تكفّل قومي بحمايتِكِ المستمرّةِ منذُ أولِّ صرخةٍ لكٍ في الوجودِ، نحنُ قبيلةٌ مسلمةٌ، تكفّلنا بالأمرِ وقدْ أُخِذَ عليه عهدًا.»

قاطعتُها في توترٍ مني لأستفهِمَ الأمرَ: «لم تكفّلتم بهذهِ الحمايةِ، ومن أي شيء..؟»

عاتبتني بنظرةٍ بريئةٍ منها: «ثِقي بي، ولا تعجلي.» قالتْ وهي أعلمُ مني بحالي، ربّتتْ على ظهري، مسّدتْ شعري، أردفتْ: «نارين.. لا تفزعي مِن الأمر، واعلمي أن كل شيءٍ سوفَ أُطلعكِ عليه في موعدهِ.

نارين، تعاهدنا بحمايتكِ الدائمةِ، بحيثُ لا يمسّكِ سوءٌ أبدًا، أعدكِ.

ألم تفكري يوماً في كونكِ تستطيعينَ رؤيةَ عالمنا..؟ لماذا تطّلعين على الأحداثِ أثناءَ حُدوثِها، رغمَ أنكِ سجينةَ ليلِكِ المستمرّ، تقبعينَ هُنا، ألا تذكرينَ القطط..؟

أتذكرينَ كيفَ أخبرتِ أباكِ عن حادثِ الجدَّةِ، التي ألقتْ مصرعِها بسببهِ..؟

كيفَ أخبرتِ أمّكِ بأنّ شقيقتكِ الكُبري سوفَ تُطلّق..؟

ألم تفكري كيفَ شعرتِ على الدّوامِ بوجودِ الجنِ، ترينهم يلتفّونَ من حولكِ، رغم أن الله وضعَ بيننا حِجابًا، فمنعكم من رؤيتنا..؟»

جمعتْ الكثيرَ من الأشياءِ الغريبة، التي تكوّمتْ عبرَ عمري القصيرِ، مثلَ تلةٍ عجائبيةٍ في أرضِ الذاكرةِ، لم أجدْ لها تفسيرًا، سوى ما أنا فيهِ من وحدةٍ أبديةٍ. لكنها أخبرتني أن منحةً من الله قد أصابتني، والله يصبُّ منحةَ على من يشاءُ مِن العبادِ.

أتساءلُ في نفسي: «كيف يمنحُني الله هِبةً ما وأنا على حالِ البؤسِ هذه..؟ الأوْلى أن تكون هذه المنحةُ عقوبةً على شيءٍ عظيمٍ لم أفعله.»

«ألم أطلب منكِ عدمَ الشرودِ..؟» قالتْ تأنّبُني، لكنّ الفضولَ استبدّ بي: «ما الدافعُ الذي جعلكم تتعاهدونَ على حمايتي الأبديةِ هذه..؟»

«نحنُ قومٌ مؤمنون.» قالتْ سيفري، تنهّدتْ كأنّما تقطفُ ذِكرى ثقيلةً مِن أرضٍ بعيدةٍ، أردفتْ: «بيننا وبينَ أعظمِ قبيلةٍ وثنيّةٍ من بينِ قبائلِ الجنّ، التي لم تلتزمْ بعهودِها مع نبيّ الله سليمانَ، حروبٌ عظيمةٌ منذُ قرونٍ طويلةٍ. لقدْ سادَ بطشُها فوصلَ إلى حدٍ لا يُطاقُ، تفرضُ نفسها في عالمِ البشرِ بصورةٍ بشعةٍ. الأمرُ تخطّى الاستدعاءَ، وسفكَ الدماءِ، والقرابينَ البشريةَ، هُم أعوانُ الشيطانِ الأكبرِ، ولهم شأنٌ كبيرٌ في حضرتِهِ؛ لشدّةِ ما يملِكونَ مِن بأسٍ وبطشٍ. لهذا تعاهدنا أن نحمي البشرَ قدرَ المستطاعِ، ابتغاءَ مرضاةِ الربِّ الواحِدِ، ثم مِن أجلِ الحفاظِ على اتّزانِ الثقلينِ. إلى هنا أكتفي، لأن ما أخبرتُكِ به كثيرٌ وثقيلٌ، من أجل ذلك يجبُ ألا تتطلعي نحو معرفةِ شيءٍ آخرَ، اليومَ، فقطْ لديّ شيءٌ واحِدٌ أخير.»

- ماذا لديكِ بعد كلّ هذا الجنونِ..؟
- هل ضاقَ بكِ وجودي..؟

لم تكنْ كذلِكَ، على العكسِ، كنتُ أرتاحُ في وجودِها، أحسُّ بها توأمتي التي أتمنى، حيثُ أرى في ملامِحها الدافئةِ رُوحي الهاربةَ منّي في تلكَ الحياةِ: «بالعكسِ – قلتُ - أنتِ بالنسبةِ لي طاقةُ القدرِ، ولا أحبُّ أن ترحلي.»

- هذا يسعدني، ولكن صِدقًا، لا أرحلُ إلا من أجلِ الضرورةِ. وعلى الدوامِ أتمنى أن أكونَ بجوارِكِ. الآن يجب أن تعرفي من هم القائمونَ على حمايتِكِ.
- من..؟
- نحن خمسةٌ.. أنا، وسبحان الله، وأضاء الله نوره، والصالح، وهاروني.

أخذتني الدهشةُ: «هل هذه أسماؤهم..؟»

- هم متواجدون الآن، بيننا، لكنّهم يخافونَ عليكِ من رهبةِ ظهورهم. بالمناسبةِ يقول سبحان الله: "إن أسماءنا لدُنّيةٌ".

قبل استئذانها للذهاب تذكّرتْ شيئًا، فتوجّهتْ به إليّ، كأنّ أحدهم أخبرها به من وراءِ حجابه، فقالتْ: «التزامُكِ بالصلاةِ والأذكارِ وحفظَ القرآنِ، يُساعدَنا، حيثُ لكِ من الله رحمةٌ عُليا على إثر ذلكَ، فواظبي ولا تنقطعي.»

حلَّ مساءٌ على مساءٍ دائمٍ، وأنا لا أزالُ على حالةِ الشرودِ، أجلِسُ بغرفتي، أحاولُ جاهدةً استيعابَ ما حدثَ. فالذي ألقتهُ علي مسامِعي، ليسَ مِن نسجِ الخيالِ، ولا هو حُلمٌ، ولا جنونٌ. فلقدْ حدثَ بالفعلِ ما حدثَ، حقيقةً، وليس أمامي غيرَ التصديقِ، أو الخروج من حجرتي الملبوسةِ هذه؛ لأُخبرَ أمي، علّها تساعدني، هذا إن اهتمّتْ.

أربكني الأمرُ، فصِرتُ لا أعرِفُ ماذا أفعل.

الكثيرُ مِن الكُرهِ الذي بِلا سببٍ، القليلُ القليلُ مِن الحُبّ. يَدومُ تفكيري غيرُ المريحِ في هذهِ الناحيةِ مِن حياتي البائِسَةِ.

يشغلني كثيرًا، ينخرُ في أعصابِ أعصابي. إنّني في احتياجٍ كبيرٍ إلى مَن يضُمّني إليهِ ضمةَ حُبٍّ حقيقيةٍ، ضمةً تُخلِّصُني مِن الحرمانِ الذي أعيشُه. ليتها كانتْ مِنكَ يا أبي، أو كانتْ مِن أُمي أو مِن أُختي. ليتني لم أكنْ.

تُحرّكُني مَشاعِرُ الفَراغِ نحو رغبةِ امتلائِها، الشيءُ الوحيدُ الذي يُخرِجُني مِن حيرةِ الوحدَةِ، باستثناءِ القِرَاءَةِ والكِتابَةِ: "حَجَرُ الحَيَاةِ". ذلِكَ

الشيءُ المُستضِيءُ بي، الذي يُبْهِرُني بِلوْنِه الفيروزي الأزرقِ الرّائِق، كُلّما أمسكتُ بِه.

أعطنيهُ الشيخُ طه مُنذ صِغري، أمامَ عَائِلتي الصغيرَةِ مُجتَمِعةً. لا أزالُ أتذكّرُ النظرةَ التي أبدتها أُختي إليه، تلك النظرةُ الحاقِدةُ التي ثبتتْ في الذاكِرة على هيئةِ جِذعٍ مَتفحّمٍ، وكيفَ أنّها تركتْ الجلسةَ بِلا سببٍ ودخلتْ حُجرتها. أفرغَ الحجرَ مِن صُندوقٍ عتيقٍ وقال: «هذا لكِ يا نارين.»

ظننتُه لُعبَةً في بداءة الأمر، وظلّ كذلِكَ فترةً طويلَةً، وبه دخلَ السُّرورُ إلى القَلْبِ، لِمرّةٍ مُختلِفةً، أكّدَتْ اختلافها نظرةُ أُختي العجيبةُ. لكنهُ كانَ مُختلِفًا بِالفعْلِ، عِندمَا أمْسَكتُ بِه أضاءَ لونًا فيروزيًّا ذا زُرقةٍ مثيرةٍ، كأنما يستمدّهُ مِني، لأنّه لم يفعلْ ذلِكَ عِندما أخرجَهُ الشيخُ طه مِن صندوقِه العتيق.

«ما هذا الحجرُ يا شيخَ طه..؟» سألهُ أبي، إذ كانتْ نظرتُه الكبيرةُ للحجرِ أكثرَ فِهمًا مِن نظرتي وقتذاكَ. ربّتْ الشيخُ طه على ظهري، أعطاني الصندوقَ لِأُعِيدَ بِه الحجرَ مرةً أُخرى، وأمرني بأخذِهِ إلى الحُجرةِ والمُحافَظَةِ عليه. أخذتُه ودخلتُ حُجرتِي، حِينئذٍ سمعتُ الشيخَ طه يُخبِر أبي بأشياءٍ غريبةٍ، عرفتها الآن.

ألقى الرعبَ في قُلوبِهم كي لا يقتربَ مِن الحجرِ أحدٌ غيري، ولذلِكَ لم يعدْ أحدٌ مِن بينهم يدخُلُ حُجرتي أبدًا، قالتْ أُمّي: «هذه اللعنةُ متى ستنتهي..؟»

«الله أعلمُ يا ست أم ندى.» أجابها الشيخُ طه، أضافَ: «كلُّ ما في الأمرِ أنّنا نُحاوِلُ قدرَ الإمكانِ وضعها في قالبٍ يؤمنّها من أي سوء.»

حاولا سؤاله عن ماهيّةِ الحجرِ، وكيفَ أضاءَ بهذا اللونِ عِندما أمسكتُ بِه، لكنّه قالَ بصوتِه الخفيضِ: «علينا أن نؤمنَ لا أن نُجادِلَ فيما لا ينفعُ.» كانَ آخر ما قال قبل أن يتركهما ويذهب.

ظلّ الحجرُ طَوالَ تِلكَ السنينَ معي، لا أُخرِجُه مِن الحُجرَةِ، حتّى نسيتْهُ العائلةُ.

كانتْ الأحلامُ قليلةً، قبلَ ذلِك، لكنّها كثُرتْ بطريقَةٍ لمْ أعِهَا بعدُ. قمتُ

إليهِ مدركةً أنّه الشيءُ الوحيدُ الذي سيُخرِجُني من ربكتي الحالية، سيكونُ لي أبًا قبل أبي، وحياةً مُكتمِلةً قبلَ حياتي.

أخرجتُه مِن صُندوقِه العتيقِ، وضعتُه على الفِرَاشِ، ربّعْتُ جِسمي أمامَه، وكانَ يُضِيءُ بِلونِه الفيروزي الأزرقِ كالعادَةِ: «ما رأيكَ أيها الحجرُ فِيما أنا فيه..؟» سألتُه، دقّقتُ النظرَ إليهِ طويلًا، أضفتُ: «بائسةً أكلمُكَ وأرجُوكَ، فلا تبخلْ عليّ بما لديك.»

لا أعرِفُ ما الذي حثّني على فِعل ذلِكَ الوهمَ، كأن سرًا في الحَجرِ لن يَخرُجَ لي، مُظهرًا نفسَه بِطريقَةٍ سِحريّةٍ، إلا باستدعاءٍ تطلبُه ضَعِيفةٌ مثلي، لا تمْلِكُ سِوى الحُلم.

ما زِلتُ أحلُم بالمستحيلِ، حتّى بعدَ رُؤيةِ ما لا يُعرف إلا بالمستحيلِ.

«بائسةٌ ليس إلا.» قلت وعيني لم تزلْ تنظرُ في ما وراء الضوءِ، تستجدي عطفَ الحجرِ، بما لا يملك.

لوهلَةٍ، رُبّما انتظرتُها كثيرًا، ضَعُفَ ضوءُ الحَجَرِ في رَعشَةٍ ذات شَرْزٍ عجيبٍ، لم تحدث من قبل أبدًا، كأن الطاقةَ التي يستمِدُّ مِنها ضوءَه قدْ انتهتْ.

الطاقَةُ لم تزلْ مُشِعّةً، بلا انتهاءٍ كما ظننتُ، بل امتّدتْ، والشرزُ دامَ فترةَ سبعِ ثوانٍ، لِيخرُجَ لي الردُ على هيئةِ كلماتٍ مشتّتةٍ.

كلماتٌ كثيرةٌ ولِدتْ في غريقِ الضوءِ، بلونٍ داكِنٍ مُشعٍ بزرقةِ الروح. حاولتُ تجميعَها مِثلما هي طريقتي في الكلماتِ المتقطّعةِ. الكَلمةُ كانتْ تدومُ وقتًا ثم تختفي، ليتها كانتْ جُملًا كامِلةَ الصياغةِ؛ لأفهمَ الأمرَ مرةً واحدةً. أحضرتُ قلمًا وواحِدًا مِن دفاتِرِ سيرتي الملعونَةِ، سجّلتُ الكلماتِ كُلها في الدفترِ، كانتْ سبعةً وعشرينَ كلمةً، شكّلتُ مِن خلالهن رِسالةً مُبهرةً، لم أستطعْ فكَّ شَفرتَها:

«البابُ مِن فوقِه الصورةُ، يبدو لها.

هو الحقُ غيرُ الممتلَكِ يتمدّدُ،

بعيدًا عن الأعينِ الباحثةِ،

قريبٌ مِن الطيبينَ.

سوفَ يظلُ مكتومًا،

حتى تفتحه بما تملِكُ مِن حقٍ.»

برقَ الحجَرُ برقَتَهُ العجيبةَ بعدَ ذَلِكَ برُبعِ ساعَةٍ، كما برقَ مِن قبلُ، تماهى البصرُ معَه لِيُفاجِئَني بجملةٍ كاملةٍ: "الطريقُ غيرُ ممهدٍ الآن".

أرجعت الحجر، لست أفهم شيئًا مما يحدث من حولي، لاسبيل لي سوى الرجوع إلى أمي، هي التي ستخرجني مما أنا فيه، إن هي اهتمت.

شرعتُ بتركِ الغرفةِ، لكن المفاجأةَ كانتْ أكبرُ مِن قدرتي على الاستيعابِ. عندما اقتربتُ من البابِ وحاولتُ فتحهُ؛ اختفى.

«ماذا يحدثُ من حولي يا الله..؟» زفرتْ، رجعتْ إلى الوراءِ مرتبكةً، فإذا بضبابٍ كثيفٍ يملأُ الغرفةَ عنْ آخرها، ضبابٌ مختلِفٌ عن ذلِكَ الذي خرجتْ منه سيفري، إذ هو حالكُ السوادِ، له رهبةٌ في النفسِ تُثِيرُ الفزعَ.

وحدي أقابِلُ كل هذا الخوفِ، وحدي يا الله، وحدي أقابِلُه بوعيٍ لم يبلغ العشرينَ بعد..! أودُّ لو كنتُ في حضنِ أبي الآن، في حضنهِ الدافيء، يربّتُ على ظهري برفقٍ ويقولُ لي: «نارينَ.. حبيبتي، لا تخافي أنا موجود.»

الضبابُ كثيفٌ وبهِ اسوداٌ مخيفٌ، مثلَ دوّامةٍ يدورُ، كأنما أدورُ معه، شعرتُ بيدٍ تخرج منه، تدفعني بقوةٍ لأرتطمَ بالحائطِ من خلفي، أجاهِدُ كي لا أفقدَ الوعي، أحاوِلُ بمشقّةٍ فتحَ عينيّ لأستوعبَ الحقيقةَ المرّةَ التي أعيشُ، ويا لهولِ ما رأيت..!

مخلوقٌ ضخمٌ، له من القبحِ ما لم تر العينُ مِن قبلُ أبدًا، جِسمهُ يشتعلُ ناراً، كأنّه خلايا كبيرةٌ من فحمٍ، متداخلةٌ بعضُها في بعضٍ، رهيبةٌ. عيناهُ كبيرتانِ وجمريّتا اللونِ، تبثُّ الرعبَ في نفسي، إذ تومِضُ بشكلٍ عجيبٍ. يمتلِكُ مخالبًا فحميّةً وكذلِكَ قرنينِ، بينما ينسدِلُ مِن ورائِه ذيلٌ شفّافٌ، شعرتُ من الوهلةِ الأولى أنّه بلّورٌ، لكنهُ لم يكن كذلك بالطبع.

كان جيشٌ مِن المخلوقاتِ التـي تُشبِهُ الجمرَ، قدْ ظهرَ مِن خلفِه، لكنّـهُ كـان أعظمَهـم، لعلّـه سـيدُهم، وجّـه إلـيّ نظـرةً ثاقِبـةً وراحَ يتفحّصُـني، كأنّمـا يعبرني.

الأرضُ لمْ تعدْ ثابتةً أسفلَ منّي، تمورُ بي، ودَوْخةٌ قد اعترتني بالكامِل، حيثُ سرتْ في الجسمِ قشعريرةُ موتٍ، فبِتُّ أثقَلُ مِن جبلٍ.

رفعَ يديهِ بغضبٍ يُشيرُ بِها تجاهي، فإذا بي أرتفِعُ عنِ الأرضِ، حاولتُ الصُراخَ بعزيمـةٍ قويـةٍ، لكنّ صـوْتي أبـي الخـروجَ كأنمـا تركنـي ورحلَ مُعلنـا الهـروبَ عـن حُنجُرتـي. اقتـربَ منّـي، أنفاسُـهُ تكـادُ تُزهِـقُ رُوحـي، شـعرتُ بجسدي يحترِقُ كأنّ أحدهم زجّ بـي فـي الجحيمِ. ظلَّ ينظرُ فـي عينـيّ بعنتيـهِ الجمريتينِ. نطـقَ بعضَ الكلمـاتِ التـي لـم أفهمْهـا، لكنّنـي شعرتُ بهـا أصفادًا تكبّلني، أردفَ بالعربيةِ: «إلى أينَ أنتِ ذاهبةٌ يا جميلتي..؟ أنتِ مِلكٌ لـي، ولـنْ يستطيعَ أن ينقذكِ مخلوقٌ مِن بين براثني، أنا جهمار.»

لصوتِه زمهريرٌ قاتِلٌ، تخرجُ الكلماتُ مِن بينِ أسنانِه القبيحَـةِ صواعِقٌ فتّاكةٌ، رغم الهدوء الذي اتخذتهُ ملامِحُه الأكثرَ شرًا في الدنيا. أكملْ: «الخـادمُ المطيـعُ لسيدي إبليس العظيم، وقد جِئتُ اليومَ لآخـذكِ قُربانًـا لـه. _ضـحِكَ بانتصارٍ لم يتم بعد_ لـم يهزمنـي أحدٌ علـى مرِّ العصـورِ، فلا تظنـي أن هنـاكَ مَن يستطيعُ إنقاذَكِ مِن بينِ يديّ هاتينِ يا جميلتي.»

لا أعرِف مـاذا أفعلُ وسطَ هذهِ اللعنـةِ الحمقاء، إذ بـاتَ جِسمي ثقيلًا، يصعُبُ على القدمينِ حملُه. فجأةً دوّى صوتُ انفجارٍ، وعلا برقٌ ورعدٌ سقفَ الغرفَةِ، نظرتُ إليهِ فإذا بهِ يقولُ متوعّدًا: «سأعودُ مرةً أخرى، ولن يستطيعَ أحدٌ حمايَتكِ، مهما كان الأمرُ.»

صـوتُ الانفجـارِ يعلـو، يصـعقُ الأذنـين، وإذا رأسـي المملـوءُ يصـطدِمُ بالأرضِ، لكنّني لم أفقِدِ الوعيَ بعد. الجُدُرُ تكسوها طلاسِمُ غريبةٌ، كأنها كُتِبت بالدماءِ، قانيّةِ اللونِ، لهـا رائحـةٌ معدنيّـةٌ، نعم إنهـا دمـاءٌ، لكنّنـي لا أدري دمـاءُ مـن. وإذا بنـارٍ عظيمـةٍ تعلـو وتمـلأُ المكـانَ، تنشـقّ الأرضُ لتصـنعَ أُخـدودًا عظيمًا، يخرجُ مِنه مخلوقٌ آخر: «يا رب ما هذا الهُراءُ..؟!»

لقدْ تحوّلتْ الغرفةُ إلى بوابةٍ ملعونَةٍ، يلجُ إليها الجنّ كيفما شاء، وبكلِّ

تلكَ الأعدادِ الجنونيةِ: «ماذا فعلتُ في هذه الحياةِ اللعينةِ كي أرى كلَّ هذا الشقاءِ..؟»

اقتربَ المخلوقُ الجديدِ، منّي، الخارجُ مِن الأخدودِ المشقوقِ لِتوّهِ، كانَ أشدَّ بشاعةً مِن المدعو جهمار. بصوتِه المزلزلِ يقول: «لا تخافي يا حبيبتي، فأنا عشيقُكِ ولنْ يستطيعَ أحدٌ أن يمسّكِ بسوءٍ.» من خلفِه يخرجُ جيشٌ آخر من المخلوقاتِ القبيحةِ، مدرّعين بزيِّ الحربِ الأبديّةِ، يردفُ: «صدِّقيني لنْ يمسَّكِ أحدٌ بسوءٍ معي، تزوجيني الآن، لطالما أحببتُكِ أكثرَ من أي شيءٍ آخر، معي ستكونينَ في أمانٍ طوالَ العمرِ، ولن يمسّكِ أحدٌ بسوءٍ أبدًا، لا من البشرِ ولا الجان.»

شعرتُ فجأةً ببحةِ الصوتِ تعودُ من صمتها اللدني، سألتُه: «من أنتَ..؟»

قال: «أنا الذي انتظرتُكِ سنواتِ عمركِ، ولم أملّ يومًا من هذا الانتظارِ. أنا من بحثتُ عنكِ وحافظتُ على عهدِ العشقِ الذي أخذتُه على نفسي، أنتِ نقطةُ الضعفِ الوحيدةِ لي، لأجلكِ خالفتُ عاداتِ القبيلةِ وتقاليدِها، وكفرتُ بكلِّ عُرفٍ فيها...أنا الغضوب»

ينتابني غثيانٌ شديدٌ، يردُّني على أعقابي المتكسرَةِ، إلى العجيباتِ الخفيّةِ التي كنتُ أحس بها، في صِغري: تحركاتٌ وهميّةٌ، اهتزازاتٌ شديدةٌ في الجسمِ، غفواتٌ من الجحيمِ الخالصِ، تحديقُ القطط الدائِم لي، حديثٌ معهم، سماعُ أصواتٍ. هذا ما جلبتْه عليّ وحدتي وتوحُّدي الذي لا أستطيعُ الفكاكَ مِنه.

أخرجني من عُقمي اللدني، صوتُه العقيمُ يرتِّلُ عليّ أورادَ الحبِّ الحرامِ: «أنتِ مَن تمنّيتُها على الدوامِ، أستطيعُ أن أجعلكِ زوجتي بطرفةِ عينٍ، غيرَ أنني لا أريدُ الأمر غصبًا، أحتاجُ إلى موافقةٍ منكِ سوفَ أنالها.»

يسكتُ برهةً، يتحوّلُ إلى شابٍ وسيمٍ، لرائحتِهِ طيبُ المسكِ، جميلُ الخلقةِ والجسمِ. تابعَ: «أستطيعُ فعل أي شيءٍ من أجلكِ جميلتي، سوفَ أُقدّمُ لكِ الأرضَ والسماءَ هديةَ زواجِنا، فقطْ وافِقي.» كان خِطابُه هادئًا وحالمًا، لكنّه أنهاهُ بنبرةِ تهديدٍ غيرِ مُريحَةٍ: «سوفَ أتركُ لكِ بعضَ الوقتِ للتفكيرِ،

لكن اِحذري لأنّني لستُ صبُورًا، ولا أُحبِّ الانتظارَ.»

تـوتّرت الأضـواءُ فـي الحجـرةِ الذائبـةِ، إذ تلاشـتْ الجـدرانُ والأثاثـاتُ مِنها، وتحوّلتْ أرضُـها إلـى مـا لا أستطيعُ توقّعـه أبـدًا، حيثُ الحممُ البراكانيـةُ السائلةُ، والاتساعُ الذي لا تستطيعُ العينُ تحديدَه، والموتُ البطيءُ مِن الداخِل. زلزالٌ عظيمٌ يجتـاحُ المكـانَ، الغبـارُ يعلـو والنيـرانُ فـي تزايـدٍ، صـوتُ صـهيلِ خيلٍ يكادُ يصمُّ الآذانَ. بطرفـةِ عينٍ يعـودُ الجِنُّ العاشِـقُ إلـى صـورتِه الأولـى، وراحَ المكانُ يعجُّ بجنودِ جهمار من جهةٍ، ومن جهةٍ أُخرى قبيلةُ بني الأسودِ، وفي جهةٍ ثالثةٍ جيشُ سيفري.

المكانُ استحالَ بقعةً مِن حربٍ مستحيلةٍ، ضاريةٍ إلى أقصى درجـةٍ من كراهيةٍ ظاهرة.

أشـارتْ سـيفري باتّجـاهي لتصـنعَ مـن حـولي مـا يُشـبِه حقـلَ الطاقـةِ لِحمايتي، يـا لهـولِ مـا أرى..! يسقطُ الكثيرونَ قتلـى وجرحـى: «كلُّ هذا مِن أجلـي أنـا..! أنـا الضـعيفةُ المتوحِّـدةُ فـي ذاتـي اللعينـةِ، مـا الـذي يحـدثُ..؟» مرّ الوقتُ ببطءٍ شديدٍ، تكادُ الروحُ تزهقُ، وأنا لا زلتُ أُحاوِلُ استيعابَ ما يحدثُ.

هدأتِ عاصفةُ الجنّ بعدَ فترةٍ منَ الموتِ لا يعلمُها إلا الله، فهدأَ المكـانُ وبدأَ الغبارُ ينقشِعُ، وخمدتْ نيرانُهم، واختفوا جميعًا. عـادَ كلُّ شـيءٍ كمـا كـانَ علـى طبيعتِـه، لكنّـني مرهقـةٌ جدًا وجسـمي ثقيلٌ، وروحـي قتيلـةٌ مـا رأيـتُ، لا أقوى على الحراكِ. عـادتْ سيفري عبـرَ ضبابِها الأبيض قلقـةً علـيّ، حملتنـي براحتيهـا، وضـعتني علـى الفـراشِ برفـقٍ تـامٍّ، مسّـدتْ بيـدِها علـى جبينـي، همستْ: «نارين.. لا تخافي، أنتِ الآن بأمان.»

ظلّتْ إلى جِواري وقتًا، كنتُ أُريدُ معرفةَ ما حدثَ، سألتُها على طريقـةِ السكارى التائهينَ، لمْ تُجبْنِي، فقطْ أرادَتْ لي الراحةَ قبلَ رحيلِها، فعلتْ بعدما أحسّتْ بتحسُّنِي، أخبرتني أنّها لن تغيب.

دوارٌ ثقيلٌ وعقيمٌ يجتـاحُ رأسـي، فقدْ كُنتُ أموتُ بالفعلِ مِن هولِ مـا رأيـتُ. عقلـي يـرفضُ ويعتـرِضُ علـى كـل مـا حـدث، لكنَّ المـرضَ كـان فـي المقابلِ. اعتدلتُ في الجلوسِ، بتُّ أشعرُ أن الحجرةَ ما هي إلا سجنٌ عتيقٌ، لا أدري من صنعه ولِما، فقدْ كرِهْتُ كلَّ ما تحويه.

نظرتُ لساعَةِ الحائِطِ، إنها تُشير إلى الثامنةِ: «في أيِّ ثامنةٍ أنا..؟» رُبّما هي ثامنةُ الصباحِ، والذي رأيتُه ليسَ سِوى كابوسٍ لعينٍ. تحقّقتُ مِن الأمرِ عِندما فتحتُ نافذةَ شُرفتي: «الثامنةُ مساءً إذن.» تذكّرتُ أنّني لم أُخبرْ أُمّي بعدُ، قمتُ مسرعةً وعيناياَ تَرقُبانِ البابَ، متوجسةً مِنه خِيفةً، لعلّهُ يتبدّلُ مرةً أُخرى إلى جِدارٍ جِنّيٍّ: «يا ربِ.. لستُ مُستعدَّةً لِهذا الشقاءِ مرةً أُخرى، أرجوك.»

أرتدُّ في زحمةِ الفكرِ إلى الطفولةِ، إذْ كنتُ لا أزالُ بريئةً، على الرغمِ من الأحداثِ الغريبةِ آنذاك. كانت لجدتي عادة الذهاب إلى عمتي، كل أسبوع، لا تنقطع إلا بمرض أو كسل، لكنها رغم ذلك لم أرها كسولة أبدًا، ولم ترقد ذات مرة في فراشها مريضة، كانت جبلًا حقيقيًا كما يقول أبي على الدوام، إلا إنها كانت شديدة ظالمة.

في اليوم الذي ماتت فيه جدتي، ذهبتْ على صوت آذان الفجر، كعادتها، إلى ابنتها الأقرب إلى قلبها، لتساعدها في العجن والخبز. لم أكن وقتها قد تجاوزت السابعة، وكنت وقتها حبيسة حجرتي، لا أحب الخروج منها إلا للضرورة. متعلقة منذ سنوات عمري الأولى بكل ما فيها، متوحدة مع كل شيء، حتى أنني في أيام كثيرة كنت أنام أسفل الفراش، أفرش بطانية ثقيلة تحتي، وأغطي جسمي باللحاف؛ لأن ذلك يجعلني لصيقة بالحجرة أكثر، ولأن النوم على الأرض كثيرًا ما يكسبني الدفء والراحة والأمان.

أيقظتني يومئذ أثناء القيلولة قطة سوداء، حيث ارتقت فوق صدري بثقلها، تموء بصوت أشبه ما يكون إلى صوت امرأة، رائحة غريبة تسللت داخلي، كما كانت على الدوام تتسلل إلى حاسة الشم منذ وعيي المبكر، أحيانًا كنت أكرهها وأحيانًا أخرى كنت أحبها. ارتعشت وأحسست بأنفاسي البطيئة تتزايد، وكأن أحدًا قد حبس عني الهواء فترة طويلة، فاستيقظت لأجد سواد القطة جاثمًا فوق صدري، يملأ العينين، تنظر لي بشراهة.

لم أصرخ ولم ينتبني الخوف، لا أعرف السبب، لكن جسدي رغم ذلك قد أصيب بقشعريرة مزمنة، ويكأنني عارية محشورة في جبل من الجليد الخالص.

لم تَمُؤ القطة مرة أخرى، بل تكلمت.

تأخرت جدتي عن الرجوع، فانتابنا القلق، لكنه زاد عندما اتصل أبي بعمتي، قالت أنها تركتها من بعد صلاة الجمعة، رافضة تناول الغداء مثل كل مرة. جاء المغرب وازداد قلق أبي، لذلك أراد النزول للبحث عنها في الشارع. قبل خروجه من البيت قلت له: «لن ترجع مرة أخرى.»

انتبه لي قليلًا، توقف متفكرًا، كانت أمي بجوار، زغدتني في جانبي وقالت: «اسكتي يا مكسورة الرقبة، فأل الله ولا فألك.»

- بابا.. تيتا لن ترجع مرة ثانية، تيتا عملت حادثة وموجودة في الدرج.

حاولت الأم أن تضربني مرة أخرى، نهاها أبي، قال: «هل تكرهين جدتكِ يا نارين..؟»

- هل كانت تحبني يا أبي..؟

لم يجبني، خرج للبحث عن أمه. في نهاية الأمر وجدها حبيسة درج في المشرحة. بعد الانتهاء من مراسم الدفن والعودة إلى البيت، سألني: «من أخبرك أن تيتا في الدرج.»

- القطة.

كانت تجلس إلى جواري، القطة السوداء، التي أخبرتني أن جدتي ماتت إثر حادثة وهي حبيسة درج كبير في المشرحة، تنظر لي كما كانت تنظر من قبل. قال: «أي قطة يا نارين..؟» أشرت له إليها، قلتُ: «هذه.»

لم يكن مسموحًا لأحد برؤيتها، لم أكن أعرف ذلك، وكنت متعجبة. حينئذ استعاذ أبي من الشيطان الرجيم، وقالت أمي: «البنت ملبوسة.»

اجتاحَ كِياني هواءٌ باردٌ وكأنّه إعصارٌ يكادُ يقتلعُني، كنتُ لا أزالُ أنظرُ إلى البابِ، خائفةً، أحتاجُ منه أن يثبُتَ لثانيتينِ حتّى أخرج. لكن للأسف، صوتُ صُراخِ أُمّي وشقيقتي كادَ يصمُّ أذنيَّ، ومِن دونِ سابِق إنذارٍ، وفي أقلِّ مِن لحظةٍ، اختفيتُ مِن المنزلِ.

ازدادَ صُراخُ الأمِّ، هاتفتْ أبي، وسطَ جمعٍ غفيرٍ مِن الجيرانِ، تُخبره باختفائي، غير المُصَدَّقِ.

نظرتُ مِن حولي أتأمّلُ المكانَ الذي تبدّلتْ به حُجرتي، كان كهفًا مُخيفًا في قلبِ جبلٍ شاهقٍ، على جدرانِه رأيتُ منحوتاتٍ لم أفهمْها، في آخره رأيتُ بابًا عظيمًا، نُقِشتْ عليه كلماتٌ لم أفهمْها هي الأُخرى. هرولتُ إليه، إذ هو الأملُ الوحيدُ للنجاةِ. ظننتُ ذلك، ولا أملِكُ إلا الأملَ في الرجوعِ. ما أنْ عبرتُه حتّى أصابتني دهشةٌ رهيبةٌ مِن هولِ ما وجدتُ.

باحة شاسعة، تقف أعمدة الرخام السميكة فيها على كلا الجانبين، بلا سقف، مرصعة بجواهر عتيقة، في نهايتها عرش عظيم. ينعكس جسمي على أرضها التي كصرح النبي سليمان، من قوارير. جدران ممتلئة بنقوش غريبة، كالتي رأيتها من قبل على جدران غرفتي، غير أنها تتحرك حركات غريبة هنا. السماء حمراء قانية، في جيدها شمسان ملتهبتان، لا واحدة، وهالة زرقاء عظيمة تشع جحيمًا، تخطف الألباب من هول شعاعها.

دفنت أنين أنفاسي الذي مثل القدر، منصتة، فإذا بأصوات تهمس خلفي همسًا تعودت عليه، أثناء كل شيء في حياتي. كان الجسم يرتعش فازداد ارتعاشًا، وأحسست به ساخنًا كأنما أنا في غليان مستمر. استدرت للخلف ببطء شديد، حرصًا على النفس من هول ما سأرى، ويا ليتني ما استدرت.

وجدت مخلوقات ممسوخة توشحت السواد، لها قوائم الخيل، ووجوه السحالي، وألسنة مشقوقة كألسنة الحيات. لأيديها ثلاثة أصابع ومخلب كبير، مدججين بسيوف ورماح: «يا ويح أمك يا نارين..! لن ينتهي هذا الهراء بلا موت مؤكد.» قلت كارهة حالي المروع. استدرت مرة أخرى ناحية العرش، فإذا باثني عشر مخلوقًا، تبدو عليهم الهيبة كأنهم ذو شأن في هذا المكان الخرافي: «عجباً.. لقد كان المكان خاليًا عندما دلفت من الباب.»

لا أعرف من أي مكان خرجوا، حقاً لا أدري.

لم تمر لحظة واحدة، حتى ظهر إلى جواري اثنان منهما، أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي، يتمتمون بلغة لم أفهمها. لم تمر سوى لحظة أخرى لكي أفهم كل شيء، لا أعرف كيف حدث ذلك، غير أنه حدث. فما مررت به

في تلك الفترة الأخيرة، جعل الأمر بالنسبة إلي عاديًا، فلا مجال للتعجب.

طلب أحدهما التقدم نحو العرش، فسرت معهما بخطى وئيدة، تثاقل في الأرض، إذ بات القلب مخضوضًا يرتجف، حتى شعرت به يكاد يخرج من صدري. وصلت إلى العرش، فإذا به يدور ووهج أعظم من ذاك الوهوج الخارج من الهالة الزرقاء، أغمضت عيني لثوان معدودة، نظرت إلى العرش؛ فرأيت مخلوقًا لجسده شقوق غريبة، كأنه براكان، إذ رأيت في تلك الشقوق نارًا وحممًا براكانية توجع العينين، له أربع أذرع ووجه مليء بالنتوءات المقززة، غير أن فمه كان أغرب من هيئته بكثير بشع. حيث ينفتح على مخلوق آخر حي، شعرت بالغثيان أكثر من شعوري بالخوف. نظرت من حولي فإذا بالجميع متخذين وضع السجود لهذا الكيان البشع.

أشار بيده فعادوا كما كانوا، يقفون بخشوع تام: «لا تجزعي، أنتِ ضيفتي يا نارين.»

كان لصوته قرقعة اشتعال الفحم، خائفةً سألته: «أين أنا، ومن أنت..؟!»

ضحك، نشاذ ضحكه أصم أذني فترة: «أنا الملك دهنش، أنا ابن إبليس العظيم، وهذه مملكتي.»

استعذت بالله من الشيطان الرجيم، واستعذت من قبح ابنه: «ماذا تريد..؟»

- سأعرض الأمر عليكِ لمرة واحدة فقط، بعدها لا تلومي إلا نفسك.

لم أنبث للحظات، بل تنهدت كاتمة أناتي. أردف: «أرسلت لك تابعي، جهمار، وقد هيء الأمر لما أريد.»

- وماذا تريد..؟
- لقد هيئك جهمار لتكوني قربانًا لي، ولن يمنعني أحد عن ذلك أبدًا. أعلم أنك تحتمين بالفارس الأبيض وابنتة فاطمة، وأن معك أتباع أبي ديباج، والملك مرة، وذاك البشري المدعو طه.

ضحك فدوت في المكان ضحكته، شعرت للحظة بأن الأعمدة الرخام ستسقط فوق رأسي، الواحد الضخم تلو الآخر. تابع: «لا يستطيعون الوقوف أمامي، أبدًا، مجتمعين أو فرادى، أنت خاصتي للأبد.»

قال ذلك بصوت عال وصادم، الصوت هزني فانصعقت تمامًا، ووقعت أبكي، أصرخ فوق الأرض البلور. ضحك: «أظنك بت على يقين بذلك، فقد أحضرتك إليَّ الآن في غمضة عين، وأستطيع كذلك حرمانك من كل شيء في غمضة أخرى.»

بللتْ الدموعُ قواريرَه أسفل مني، والأنين المكتوم يقطع صدري من الداخل: «من لك يا نارين..؟ من لك يا بنت الظلام في هذا الموقف العصيب..؟»

«أنت لي كما أريد، وأنا لكِ في هذا الموقف يا نارين.» قالها بصوت هادئ ورخيم، تابع: «فقط، لو أنك وافقت على العرض.»

«أي عرض لعين تريد مني الموافقة عليه..؟» صرختُ وأنا لا أزال منبطحة فوق القوارير أراني في انعكاسي هزيلة حزينة بلا قوة. قال: «لا أريدك قربانًا، حقًا أقول يا نارين، فالبشر كثيرون، والقرابين كثيرة، يقدمها الضعفاء ليتقوي بقوتي، ولو أردت لأخذت ما شئت بالقدر الذي أشاء.»

- ماذا تريد مني..؟ أرجوك، فأنا لا أملك لك شيئًا.
- أريدك تابعة لي، نتعاهد، سأجعلك تعيشين حياة الرغد، وكل شيء تحلمين به لك.

اعتدلت وقد أدهشني طلبه: «لم أنا بالذات..؟ ألم تقل أن البشر كثيرون..؟!» قلت، مقللة من شأن ذاتي، تلك المتوحدة في اللاشيء؛ كي يتركني، لكنه ضحك ساخرًا: «بالفعل أنتم كثيرون، لكنكِ مميزة من بين البشر، نعم يا نارين، لديكِ قدرات أعرف أنك لم تكتشفيها بعد، لكن لو أننا تحالفنا؛ سنغزو معًا ممالك الجن الكثيرة، سوف ننشئ إمبراطورية لا مثيل لها في الوجود، لن يقوى أي مخلوق على الصمود أمامي، أقصد أمامنا.»

«مميزة..!» رددتها وضحكت للمرة الأولى، ضحكت لأنني كافرة بما

يقول، ولأن أهلي كذلك، فأين التميز إذن وليس هناك من يؤمن بي، حتى أنا..؟ تابعت: «أظنك لا تعرف شيئًا عني، أنت أخطأت في العنوان رغم أنك ابن الشيطان يا دنش. فلست أملك نظرًا خارقًا، ولا أحرك الأشياء بفكرة داخلية ولا أي هراء مما تمتلكونه.»

سخر بضحكته الغاصبة: «أنتم أيها البشر الفانون، ستظلون على جهلكم وقصور بصيرتكم للأبد، ثم من دنش هذا..! أنا دهنش العظيم ابن إبليس الأعظم. ولم أقل أن القدرات نظر خارق أو ما شابه.»

- ماذا إذن..؟
- لقد أفسدت عقولكم الروايات الخائبة والأفلام البشرية الهابطة، يا أولاد آدم. إن قدراتك تتلخص في كونك بلا قرين.
- كيف..؟
- من العادة أن يكون لكل فرد من بني آدم قرين من الجن، أنت تعرفين ذلك بالطبع.

أومأت له موافقة، أضاف: «أنت الوحيدة من بين جميع البشر التي بلا قرين، ولذلك يصعب على أي من البشر والجن، حتى على أعظم المخلوقات قدرًا، تتبعك. لذلك تستطيعين الولوج لعالمنا وعالمكم بسهولة ويسر.»

- كيف حدث ذلك..؟
- لقد قام الفارس الأبيض والشيخ طه بفصل القرين عنك منذ ولادتك، ظنًا منهم أنك بذلك ستختفين عن عيني أنا وأتباعي، وقد كانا صادقين في ذلك، لكن الفارس الأبيض لا يزال صبيًا بالنسبة لي، لا يعلم أن هناك جاسوسًا بينهم، وإلا كيف أصل إليك دائمًا..؟

لا أعرف هل الذي قاله يفسر لي، الآن، كوني متوحدة على ذاتي، أم أنه عقد الأمور أكثر فصرت تائهة مجهولة..؟ يا الله لا أريد سوى رحمتك.

منكسرة أحسست بجلبة، رائحة الطيب التي أحبها ملأت المكان، لم تمر سوى لحظات حتى حدث هرج ومرج وسط صفوف المخلوقات البغيضة التابعة لدهنش، قال أحدهم: «اختراق.» كانت الكلمة كفيلة بخروج الأسلحة الكثيرة المختلفة، واصطفاف تام لجنود دهنش، تغيرت ملامحهم واعتراها

الغضب، صرخ دهنش: «هي الحرب.»

بثياب الحرب خرجت سيفري ومعها جميع قبائل الجان الحلفاء، صرخت بصوت يعادل صوت دهنش، وبلغة غريبة سمعتها منها في أول الأمر، لكنني الآن فهمتها: «ليس بهذه السهولة يا ابن الشيطان، ليس قبل سفك دمائنا جميعًا، وأنت رغم سطوة أبيك على عالم الجن، إلا إنه لا قبل لك ولا له بنا، أبدًا.»

عندما التقت عينا سيفري بعيني؛ اهتزت الأرض أسفل مني، فكان ذلك مدعاة لأن أكون أمامها مباشرة. حملتني بخصلة من شعرها، وضعتني فوق حصان شديد سواده، انشقت الأرض من حولنا، بعدئذ، وارتفعت بنا الأرض لنصبح فوق جبل شاهق، بينما دهنش وأتباعه بالأسفل تستعر الأرض من حولهم بحمم عظيمة، لا أحد يعلم مصدرها، حاصرتهم جميعًا.

نظرت سيفري إليهم نظرة نصر واستعلاء، حمدت الله، وما أن رفعت رأسي حتى أصبحنا خارج مملكة دهنش.

تفقدت المكان الجديد من حولي فإذا بسيفري تأتي من خلفي: «هذه مملكتي، وهذا قصري.» تقول في ابتسامتها الجميلة، لم تدم اللحظة حتى انعكست صورتي بضوء قرمزي طفيف، على الحائط الذي أمامي، ومن حول وجهي تظهر نجمة سداسية، بداخلها رموز تتحرك باللون الأزرق. انتبهت سيفري للأمر فأمسكت بذراعي فزعة، صرخت في الجنود من خلفها، بصوتها الطارق: «أسرعوا أشيانا في خطر.»

بصولجانها ضربت الأرض فإذا بها تهتز بصورة فظيعة، لا أستطيع وصف هولها، حينئذ عدت إلى حجرتي مرة أخرى، ممدة فوق الفراش، متسخة بلا أعصاب، ورعشة مستديمة تكتنفني، ولا أستطيع النطق من هول ما رأيت.

همت سيفري بالتحدث معي، قاطعتها في رجاء باكية: «أرجوك كفى، بالله عليك، أقبل يديك الاثنتين، عقلي انهار من القرف الذي رأيته.»

ربتت علي: «كوني بخير.» قالت، فأغمضت عيني ودخلت في سبات

عميق.

لكنني رغم ذلك حلمت.

رأيت في النوم شقيقتي الكبرى، كانت تضحك وقد صارت أصغر، شعرها قصير والسماء من فوقها تسقط نارًا مستعرة، وإذا بي أعود للسابعة من عمري، أرتدي الزي المدرسي وبيدي خبز محشو بالتمر، وقعت لأختي مشكلة كبيرة مع زوجها، فزعت من نومي، نظرت إلى باب الغرفة فإذا هو موجود، هرولت ناحيته، ولا يزال بداخلي إحساس بأنه سيختفي، فتحته وأسرعت إلى حجرة أمي لأوقظها بلهفة: «ماما، ماما قومي من النوم بسرعة، أريد أن نذهب لندى.»

- ندى..! في هذا الوقت يا نارين..؟ ماذا حدث..؟
- ندى في مشكلة كبيرة يا ماما.

قصصت عليها وعلى أبي الحلم، طالبة منهما أن نرتدي الثياب ونذهب إلى ندى. لم تمر سوى بضع دقائق حتى رن جرس الباب، بشكل ينذر بحضور كارثة كبرى. توجهنا جميعًا للباب، مسرعين، فإذا بشقيقتي ندى تقف أمامنا والدموع تملأ وجهها، وقد كسى الدم عينيها. صرخت أمي وقال أبي: «ماذا جرى يا ندى..؟»

بكت ندى وارتمت في حضن أبي: «دبت خناقة بيني وبين ياسر.» قالت، ثم أخبرتنا بكل ما حدث معهما. عندئذ نظر إلي أبي وأمي، في آن واحد. قالت أمي: «نارين أيقظتنا الآن من أجل ذلك، طلبت أن نرتدي الثياب ونأتي إليك، أصبحت أخاف من مفاجآتها.» بكت أمي وهي تنظر نحوي، أضافت: «ما الذ يحدث يا رب..؟»

أجبت بثقة لا عهد لي بها: «الذي يحدث أنني أعرف بعض الأشياء، وسوف أستلم شهادتي من المدرسة غدًا، وأعرف كذلك أنني ناجحة ومن الأوائل.»

تركتهم وتوجهت لغرفتي فإذا بأمي تنسى موقف شقيقتي الكبرى، قائلة: «لا.. البنت أصبحت غريبة جدًا، وضعها بات أصعب من أي وقت آخر،

تعرف كل شيء بهذا الشكل، لم أعد أتحمل، سوف أبلغ الشيخ طه غدًا، لابد يرى حلًا، لقد سئمت من وضعها، البنت سوف بتخوفني يا علي.»

«كأننا نعرف ما بها.» قال أبي وهو يضرب كفًا بكفٍ، أضاف: «البنت على هذه الحالة الغريبة من يوم أن تعلمت الكلام، ولم يستطع أحد فهمها سوى الشيخ طه، لكنه غريب هو الآخر، لا يريد أن يريح قلوبنا بشيء.»

جلست بالحجرة على مكتبي الصغير، أمسكت الورقة والقلم وبدأت بكتابة الآتي:

«لا أعرف لماذا أكتب..؟ غير أنني لابد وأن أسجل كل شيء، اليوم أبدأ الكتابة في دفتر جديد، بعدما انتهيت من تحبير الدفتر رقم 125، هنا العالم غير ثابت وموحش جدًا، أكره أن أكون فيه. أتساءل على الدوام:

لماذا يُتعب البشر بعضهم بعضًا..؟

لماذا لا يتحابون، ولم لا يحبون لبعضهم الخير..؟

لماذا يكرهون لغيرهم النعيم الذين يعيشون فيه..؟

لماذا ينتشر الحقد فيهم بهذه الطريقة..؟

أشعر باشمئزاز كوني أنتمي لهذا العالم البشع. يا ترى لمن أسجل كل هذا الهراء..؟ وما سبب الأحلام المتحققة هذه..؟ ولماذا تملى علي أشياء لا أستطيع منع نفسها من ترديدها..؟

آه.. كم أن مرهقة، يا الله، أريد أن أنام، أريد نومًا بلا أحلام. يلفحني هواء بارد يحبب إلي النوم، لكنني أعلم أنه بمجرد غفوتي، ستراودني رؤية جديدة، وعلي أن أراها مرغمة، أعلم أن بها شيء مهم للغاية. ترى من أين تأتي هذه الرؤى..؟

تمر الأيام وتسوء حالتي، أصبحت أنحف من ذي قبل، لا أتناول من الطعام سوى بضع لقيمات فقط، بت شاردة كأنني في عالم آخر طوال الوقت، رأسي كبندول عربيد لا يستقر على اتجاه أبدًا.»

انتابني ألم شديد، جلدَ بسوطِ فظاعته كل شيء داخلي: عظمي ولحمي ودمي. رأسي تصدع كأن براكانا من عذابات الدنيا قد انفجر بداخله، فراح يقطع أوصالي. وصل بي الحال أن صرخت من شدته صرخة دوت في كل أراكان الحي. حضر الجيران على إثر الصراخ، كسروا باب الحجرة عليّ بمباركة الأم، شهقوا جميعًا عندما رأونني.

لم أر ما يدل على شهقتهم وفزعهم، فالوجع بداخلي لا بداخلهم، تأملتهم قليلًا فإذا هم مصعوقون ينظرون إلى جسدي، كأنما أنا عارية، حاولت النظر إلى ثيابي فإذا هي غارقة بدمي، ممزقة كما هو حال جسمي، كأن أحدهم قام بشق البطن طوليًا، بمشرط حاد، ستة أنهار ينبع الدم من خلالهم بلا توقف. أفاق الجميع من هول المنظر، صرخت أمي وأختي صراخًا متواصلًا، ونساء الحي، قال أحدهم: «بسرعة، يجب أن نأخذها للطوارئ.»

كانوا يتساءلون في أنفسهم، هل حاول أحد قتلي، هل حاولت الانتحار..؟ الأمر كان غريبًا ولا يزال، فلم يصل أحدهم إلى الحقيقة.

بعد نصف ساعة وصلوا بي إلى المستشفى العام، كان الدم لا يزال ينبع من الأنهار الستة التي في بطني، بلا توقف. الوجع الذي شعرت به في رأسي كان يفوق مشهد الدم، لم أكن أشعر بدم يسيل على الإطلاق. جهزوا غرفة العمليات في لحظات قلائل، ما أن اجتمع من حولي الأطباء والممرضون؛ حتى اكتشفوا اختفاء جميع الجروح. عادت ثيابي كما كانت، سليمة غير ممزقة، لا شيء فيها ولا في جسمي، كأن شيئًا فظيًا لم يكن.

فزع من المشهد كل من كان في الغرفة معي، خرجوا كلهم مسرعين، وكأن بهم جنة لا يدري أحد ما الذي أصابهم. دخل إلي جميع من حضر مع والدي، كنت حينئذ أرتب نفسي للخروج، قابلتهم سليمة بلا أي خدش، وبلا نقطة دم واحدة. استنكر الجميع الموقف، لكن الشيخ طه صرخ في وجه أبي وأمي: «من أشار عليكم بالمجيء هنا..؟ من أذن لكم بالتصرف دون إذني..؟ الكل رآها بين الحياة والموت، منفجرة بالدماء، والآن رأوها سليمة، لا شيء فيها، ألم تفكروا للحظة واحدة في كلام الناس..؟»

حاول أبي الرد، لكنه قاطعه: «البنت لن ترحمها نظرات الناس، ألم

تفكروا في الزور والبهتان الذي سينتشر عليها..؟ حذرتكم من هذه التصرفات كثيرًا، لا تسمعون الكلام، ما هو ذنب نارين لو سمعت كلام الناس الذي كالكرباج لا يرحم..؟ هل ستكون بخير..؟»

قالت أمي: «أفزعنا صراخها يا شيخ طه، وعندما دخلنا عليها وجدنها تنزف بحر دم، هل تظن أنني سأتركها تموت حتى تأتي ومن ثم تتهمونني بالأهمال..؟ ما حدث قد حدث، ما هو الحل الآن..؟ لم أعد قادرة على الصبر، زواجها لم يكتمل، وكل مرة يأتي عريس ترفضه وتتعب، ولو وافقنا وجبرناها أنت تعرف ما الذي يحدث، إلى متى سنظل على هذا الوضع..؟ إلى متى سأنام بعين مفتوحة من الخوف..؟ ..أنتبهت لكلماتها فتلعثمت ومن ثم أردفت :من حقي مثل أي أم أن أطمئن على ابنتي، وأحس أنها في أمان، أريد أن أفرح بها وأحمل أولادها.»

نظرات أبي المكسورة أوحت بعجزه، نكث الشيخ طه رأسه بعد أن امتلأن عيناه بالحزن: «الله قادر على إصلاح أمرها.» قال وهو يربت على ظهري.

عاد بي الشوق إلى الغرفة، تلك التي لا تملني ولا تتخلى عني. كل مرة أغيب عنها أشعر باحتضانها وباشتياقها، كأنها كتاب يشتاق على الدوام إلى عنوانه. أنا أيضاً أشتاق إليها وأود ألا أفارقها أبداً، لدرجة أنني أتمنى لو أدفن فيها عند موتي، يا الله.. كم هي مريحة وكم أعشقها..! في الكثير من الأحيان أفكر لما أنا مرتبطة بغرفتي دون غيرها، ثمة ترابط عجيب بيننا لا أعلمه.

الراحة التي أريدها في كل مرة، لا أجدها. أشتاق إلى السكينة، أتبتل من أجل نوالها، فقد خفق قلبي مرات، وارتعش الجسم مرات، واندهش العقل مرات، كل ذلك ولم أمت بعد. ترى هل سأظل على هذه العيشة طوال ما تبقى من العمر..؟ لا أعرف. يا ليتني أموت، أموت وأُنسى. اشتقت لمكتبتي، للكتب، للكلمات، لكل حرف قرأته، لي. لكنني اشتقت أكثر للنوم، أشعر بخمول يتملكني على الدوام، لم أكن أبدًا هكذا.

ولّيت جسدي للفراش، أنخته عليه برفق، لعلني أنول الراحة التي أنشد.

الفكر لم يزل يحاوطني، ينخر في كل الأحداث من حولي: «المهم أنني

لست مريضة بالفصام، الدم أمام الجميع أثبت لي اليوم أن الجن حقيقة واقعية في حياتي، ليتني لم أكن أبدًا، ليتني أموت لأنال راحة حقيقية.»

مر وقت طويل، كي أستطيع إغلاق عيني، زحمة الفكر ترمي الحبال في سكك سلبية عمياء، ممتلئة بالأشواك. لم يمر من الوقت سوى القليل غير المعدود، بعد أن أغلقتها، حتى تصلبتُ مكاني مثل لوح من الثلج، ممسوخ الباطن، كأن هناك من يقيدني بإحكام تام. تسارعت أنفاسي، مشلولة تمامًا، لا أستطيع الصراخ، حاولت جاهدة، مات صوتي وقبر داخل الجوف وعرقت، لم أستطع البكاء.

انتقل بي سريعًا ذلك الشيء الذي قيدني، إلى ما لم يكن حلمًا أبدًا.

مكان جميل لم أره من قبل، في رؤاياي غير المنتهية، لكنه أشبه بصدى الصوت ليس فيه أحد، أسير فيه على طريق بين جبلين. كشلالات جميلة المشهد يتنزل ماء عذب من كلا الجانبين، لمذاقه طعم الحلم. جِلد الجبلين نتأت منه، كخيوط ملونة، زهور عجيبة المنظر كنمش امرأة شقراء، علت إلى جانبها شجيرات ونخيل، لمظهرها روح وريحان.

في الخطوة الأخيرة من الطريق، وجدتني أمام واحة عذراء مثلي، فيها بحيرة لمائها زرقة الروح، وكوخ صغير مصنوع من القصب والطين، وزروع مختلفة على امتداد البصر. لا يوجد في المكان أي كائن حي سوى معزاة ذهبية اللون، كسبيكة ذهب، تشع ضوءًا بانعكاس أشعة الشمس عليها، كأنها الوفاء الذي لم أجده في الحياة أبدًا.

ناديت بأعلى صوت لي: «هل من أحد هنا..؟»

صدى صوت ليس إلا، توجهت للكوخ، عابرة قنطرة صغيرة مسيجة بألواح صغار من خشب البلوط، طرقت الباب ثلاثًا، لم يجبني أحد، وكان الباب نصف مفتوح. خطوت إلى الداخل بحذر؛ لأندهش مما رأيت..

أصابتني رجفة طفيفة إثر نسمة هواء بارد، هبت من حيث لا أعرف. بساطة الكوخ من الخارج لا توحي بما في داخله، كأنه فراش من طين وسباخ لا ينتمي لبيئة الحلم الذي في داخله. صرح عظيم لا يليق بملك عابر، بل

بأعظم ملوك الدنيا، لا مثيل له في الحياة.

في منتصف الكوخ، الذي بدى أكبر بكثير من خارجه، استقر حوض كبير، أشبه بالبحيرة التي بالخارج. تسبح في مياهه طيور غريبة، ظننتها بجعات في البدء، حتى اقتربت من الحوض لأرى أجسادها كاملة، فإذا بها رؤوس بجعات بجسد طويل، مسحوب كجسد التمساح، لم أر هذا في البداية، لأنه محاط بجناحين كبيرين، لهما شكل ذيل وكالطاووس. كانت الأرض تلمع كأنها مبذورة بلؤلؤ منثور، في الجانب انتصب مجلس عربي، له مساند ألوانها خلابة، بعثت في نفسي سرورًا ذا طعم. من الغريب، ولست أعرف السبب، أن الكوخ لم يكن له سقف، فقط سماء زهرية اللون عجيبة، بلا شمس وقمر، الذي توسطها كوكب لملامحه وجه بشري، عندما دققت النظر فيه؛ اكتشفت أنه وجهي: «كم هو جميل، ليته يكون مسكني طوال العمر.»

يدهشني الأمر، يملؤني بعلامات الإعجاب، لدرجة أنني لا أعرف إن كنت فزعة منه أم معجبة. بعد وقت طويل لا أستطيع تقديره، أدرت وجههي للخروج، فإذا بي أصطدم بالعنزة الذهبية، لا أعرف ما الذي أدخلها ورائي، كأنما تراقب أفعالي، خرجت فزعة من الكوخ، لكن صوتها تردد داخل: «مرحبًا نارين، اشتقت إليك كثيرًا، ما رأيك بكوخك الجميل..؟ أعلم أنك تفتقدين المملكة كلها، ليس الكوخ وحده.»

تسمرت مكانى بلا ردة فعل، فقد فزع القلب وكثرت دقاته، وأخذ صدري يعلو وينخفض من وهلة الأمر، إذ كيف لمعزاة أن تتكلم..؟ كيف عرفت أنني نارين..؟ وأي ممكلة هذه: «يا الله.. ماذا يحدث..؟»

فقدت الوعي بسقوطي الشديد على الأرض، وما أن أفقت وتنبهت وجدت سيفري بجانبي، تطمئنني، إذ كانت تحاول إفاقتي منذ وقت طويل. أول ما فعلته حينما وجدتها ارتميت بين ذراعيها باكية. ثمة ألفه بيننا قد بنيت في هذه المدة القصيرة, شيء يجعلها قريبة من قلبي، كأنها شقيقتي: «أين كنتُ يا سيفري..؟ هل كنت معكِ، هل رأيت ما رأيته..؟»

«ماذا تقصدين يا نارين..؟ ماذا رأيت..؟ لعلها أضغاث أحلام، قمتِ من النوم لتوك.»

- لا يا سيفري، لم أكن نائمة.
- بل كنتِ كذلك يا نارين.

قصصت عليها الأمر، لكنها ظلت على رأيها: «أضغاث أحلام.»

ظلت معي وقتًا طويلًا، تحدثت إليها كثيرًا عن أحلامي القليلة، التي أعرف أنها لن تتحقق أبدًا. كانت تربت على ظهري وتمسد شعري، تتلو علي بعض الأوراد التي لا أعرفها، كي ترقيني، قالت: «هذا من أجل مزاجك، فقد تعكر كثيرًا هذه الفترة.»

في الصباح الجديد، ويالـه من صباح مشرق..! داعبني ضوء الشمس في جبيني، الذي تسلل من الشرفة منعشًا، يتخلّلُ ستائري الشاحبةَ، مشرقًا، لأول مرة.

نهضت إلى الشرفة يغمرني ارتياح وفير، لم أشعر به من قبل، كنت سعيدة من غير سبب جلي، تذكرت حينئذ رُقيةَ سيفري لي. كل ما أردته في هذا الصباح الجميل، هو الاستمتاع به مشرقًا، تغرد العصافير بموسيقى جديدة. حضّرت فنجال القهوة الخاص في بضع دقائق، أحضرت علبة التبغ، وتركت الموسيقى التي أحب تنسرب حلمًا دافئًا إلى جميع أراكان نفسي، جلست أقرأ وسط هذا العالم الحالم؛ لأستمتع باليوم وأنسى. ..

هكذا أحب أن أقضي جميع وقتي، فلا يوجد من أتحدث إليه أبدًا. أمي وأبي يذهبان للعمل في الخامسة صباحًا، ولا يرجعان سوى في الثامنة مساء. أقوم بشؤون البيت وحدي، أنظفه وأرتبه، أعد الطعام، وأغسل الثياب، ثم أتفرغ للقراءة والقهوة والموسيقى. أغني أحيانًا كثيرة، أرسم، أرقص، أكتب، أصلي، أفعل كل ذلك حتى أشعر بالنعاس. لكن اليوم لم يمر كما رسمت له، حيث رجعت أمي مبكرة من عملها، ست ساعات، مصطحبة جارة لنا تدعى أم كمال: «أمي..!» فاجأتني رؤيتها في هذا الوقت، ليس من عادتها الرجوع هكذا مصطحبة أحدًا: «خيرًا إن شاء الله يا أمي.»

- خير يا بنتي، إن شاء الله.
- أتمنى ذلك.

جلستا في الصالون ولم تطلب مني الأم شيئًا أقدمه للضيفة. بل طلبت الجلوس من أجل شيء آخر: «اقرئي المكتوب في هذه الورقة يا نارين.»

قدمت أم كمال الورقة، وفي يدها رعشة خوف. أخذتها بكل بساطة منها، كي أظهر لها أنني لا أخيف، كما يظن أهل الحي جميعًا. كانت الورقة مطوية على شكل الحجاب، فتحتها لأجد علامات ورموزًا ورسومات كالنجمة السداسية، وفي مجملها نثرت حروف لا تشكل كلمات مفهومة، أبديت نظرة حانية إلى المرأة، أبث في داخلها الأمل. فاجأتها بالحديث عن ابنتها دون أية مقدمات: «الموجود في الورقة يخص ابنتك إلهام، هناك مشاكل بينها وبين زوجها، وقد طلبت الطلاق، أليس كذلك..؟»

نظرت المرأة لأمي مندهشة مما سمعته، بتهتهة في لسانها أجابتني: «صحيح، لكن كيف عرفت، وما هو المكتوب في الورقة..؟ طمئنيني يا بنتي، أتمنى لو كنت أعرف القراءة أنا وأمك.»

«على كل حال المكتوب فيها لا يستطيع قراءته إلا العارفين به، جئت من أجل معرفة ما فيها، وقد جاءت بك أمي لأساعدك.»

كانت الورقة نوعًا من أنواع السحر التافه، الذي يجري وراء صنعه كثير من الجهلة غير المؤمنين، سحر التفريق. صنعته للفتاة حماتها الشديدة، غير المؤمنة، لأنها تغير منها كثيرًا على ابنها، كأن الفتاة ستأكله وستأكل خيره. الذي أشعل النار في قلب الحماة، أن ابنها رُزق بعمل في الخليج، واستلم عقد العمل، ولا يريد السفر بدون زوجته. كره المرأة للفتاة أعمى عينيها وظنت أن الخير الذي سيناله في السفر لن يكون لها، لذلك كثر الحقد بداخلها فصنعت للفتاة سحر التفريق.

طلبت من أمي أن تحضر كوب ماء وقليلًا من الملح، لم تتأخر أمي في جلب ما طلبت، عندئذ قرأت كلمات عرفها اللسان، لكن العقل يجهلها. عندما انتهيت وضعت العمل بالكوب حتى اختلط الماء بالحبر، سكبت الماء في مكان ما، وبدون سابق إنذار سقطت أمام أعينهما فاقدة وعيي.

لم أفق إلا في صباح اليوم التالي، جلست أمي إلى جواري وقتًا طويلًا، لكنني رغم ذلك كنت واعية بكل ما يحدث من حولي.

لا أعرف ما الذي تلبسني كي أعي كل ما يحدث من حولي، لهفة أمي وقلقها علي أثناء فقدي للوعي، حديث الجارة معها، والتي كانت تدعو لي طوال الوقت، وهي في حيرة من أمرها تجاه. تتساءل في نفسها إن كنت أعمل في السحر، أو لدي خدم من الجن، أو أنني أمتلك علمًا لدنيًا، جال بخاطرها الكثير من الأسئلة.

شكرت أمي في اليوم الثاني على ما قدمته له، وظلت تدعو لي، وفاجأت أمي بهدية صغيرة: «هذه هدية ليست بقدر المقام، بسم الله ما شاء الله، نارين الله يبارك لكم فيها يا أم ندى، كان لعملها مفعول السحر، ابنتي تصالحت مع زوجها، وبإذن الله السفر الخميس بالليل، الحمد لله.»

«ليس له لزوم كمال.» قالت أمي وهي تأخذ منها علبة الحلويات، اعتذرت منهما وقمت، فرأسي تؤلمني. ظلت المرأة تسترسل في الدعاء لي، والسعادة تفرد جناحين غير مرئيين من كلا جانبيها. دخلتُ الحجرة، أغلقت الباب من الداخل، جلست على حرف السرير أتحدث، لا إلى نفسي مثل المجانين، ولكن إلى سيفري، فقد بت أنتظر مجيئها على الدوام، لأننا أصبحنا مثل أختين.

«سيفري.. كيف تفسرين معرفتي بما يقوله الناس وأنا هنا لم أنتقل..؟ هل أنا ممسوسة كما تقول أمي..؟ أم أنني أمتلك هبة من الله كما قال الشيخ طه.؟» تساءلت في حيرة شديدة، كنت أريد تفسيرًا حقيقيًا لحالتي، أضفت: «سيفري.. الأمر متعب ولم أعد أحتمل ما يحدث، بداخلي نار شديدة يا سيفري، مليون سؤال وسؤال، وحقيقة عقلي لم يعد يحتمل من كثرة التفكير.»

غلبتني الدموع، ربتت علي، تابعت: «لا أفهم ولا أعرف لماذا أنا مختلفة، وجودك في حياتي أدخلني في اضطراب شديد، رغم أنني أحس براحة شديدة معكِ، أكثر من أي أحد آخر، لكنني بشر في نهاية الأمر، عقلي يرفض ما يحدث، هل تفهمينني يا سيفري..؟»

«أفهمك يا نارين.» قالت، قبلتني من رأسي تابعت: «وأشعر بك وألتمس لك الأعذار دومًا، لكنني أريد منكِ التماسك قدر الإمكان، لأنك على وشك الخوض بعوالم كثيرة، مختلفة جدًا، عليكِ التماسك بقوة يا نارين، وإلا

فالهلاك مصيرك.»

- هلاك..؟! لم الهلاك يا سيفري..؟ أخبريني ما الذي سيحدث..؟ وما هي تلك العوالم التي تتحدثين عنها..؟ ألم تأخذي العهد بحمايتي..؟ إذن لن يحدث شيء، أليس كذلك..؟ صارحيني بالله عليك.

«حسناً يا نارين، سأشرح لك كل شيء، هذا حقك من البداية، لكنني كنت خائفة عليك أن تصابين بشيء، كما أصبتِ بصدمة من قبل.» قالت ذلك وهي عطوفة تحاول تهدئتي، من ثم قصت علي الأمر من البداية، البداية الحقيقية.

كان هناك في إحدي قرى الصعيد، بمحافظة قنا، وهي مسقط رأس الوالد، رجل يدعى جمال. كان يمارس السحر الأسود، ليس أي نوع من السحر، بل أشدها كفرًا وعهرًا وقذارة على الإطلاق. تأتي له العانس في ذلك الوقت؛ ليفك نحسها من أجل الزواج. وطالبة الانتقام. والباحثة عن الانجاب.

في ذلك الوقت كان لا يزال الناس، قديمًا، معميين بالجهل مؤمنين بالخرافات، يسعون خلف كل مشعوذ دجال. لكن جمال وحده من بين الآلاف منهم، كان ساحرًا حقيقيًا. في واحد من الأيام المظلمة، جاءته امراة يموت طفلها كلما أنجبت، فأخبرها بأن سحرًا قد صُنع لها منذ فترة طويلة، وأن خادم السحر تابع لأم الصبيان.

لم أعرف أم الصبيان هذه، ولا خادمها، لكن سيفري أخبرتني عندما سألتها.

هي جنية كافرة شديدة الكفر مكفرة، لها بطش رهيب غير معهود في مثلها، تسقط الحامل، وتقتل صبيانها، وتخرب البيوت، وتفرق بين الزوجين، ولها من الصبيان سبعة. أخذ نبي الله سليمان سبعهة عهود عليها؛ حتى يُضعفها إن هي لم تلتزم بها.

بناء على كل ذلك فإن المرأة إذا أرادت أن تحتفظ بأطفالها؛ فعليها أن تحضر له على غير طهارة، بعد منتصف الليل إلى المقابر التى تخص النصارى على أطراف القرية، ويكون معها هدهد وديك وكذا كذا بعض

الأشياء الأخرى من الذبائح، وأنواع مختلفة من البخور.

لم تكذّب المرأة خبرًا، فقد جاءت في الموعد المتفق عليه، أحضرت معها كل ما أمر به، حينها شرع في طقوس غريبة لم تكن على بال المرأة، لكنها فعلت ما أمره بها.

عاشرها ولم تعترض، ليس خوفًا منه فقط، بل لأنها كانت تريد طفلًا، وكانت على أتم الاستعداد لفعل أي شيء، حتى يحيا ولو طفل واحد من أطفالها.

كان جمال وسيمًا نوعا ما، لكنه كان قذر الثياب دائمًا. بعدما انتهى من الجماع؛ أمرها ألا ترتدي ملابسه، ثم أخذ كل ما أفرزه فرجها عقب الجماع، وكانت معه قطعة من الجلد البشري لشخص توفي حديثا، حيث يسرق جثث الموتى ويأخذ من جلودهم وعظامهم، لزوم سحره. بعدما انتهى من أمره أشعل شموعًا لرائحته عفن غريب، ثم أعطاها ظهره وجثى على ركبتيه، وراح يتلو بعض التعاويذ، بعدما انتهى قام بفتح أحد المقابر، طلب منها أن تخطو على القتيل سبع مرات، لقد اختار شخصًا مقتولًا رميًا بالرصاص، ليس أي شخص آخر، بعدها طلب منها النوم إلى جواره حتى مطلع الفجر، شدد عليها بألا تقوم مهما حدث.

في ذلك الوقت بالتحديد، كانت أمي في طريق العودة من القاهرة. جاءها المخاض شديدًا، فلم تتحمل أكثر مما تحملت، وقد تخطت المرحلة الأولى منه، فما كان من السائق والركاب سوى إيقاف العربة ومساعدتها على الولادة. من سوء الحظ كان توقفهم في نفس المكان الذي أدى فيه جمال طقوسه السحرية النجسة. أناخوا أمي على ظهرها، وهي تصرخ من الألم، كان بعض جسدها على القبر الذي به المرأة، لا أعرف كيف تم ذلك، إلا إنها وضعتني في هذا المكان النجس، إذ تمت فيه طقوس استحضار غريب، ومعاهدة لطالما حلم بها جمال، إذ كانت معاهدة مع إبليس الأكبر، أعظم ما يتمناه كل من اشتغل في السحر الأسود. لم تكن المرأة سوى ضحية له، وقربانًا يقدمه لمعبوده الجديد إبليس، وجه الشر، من أجل غايته في تملك أوجه السحر.

طقوس السحر النجسة طالت روحي في ذلك المكان، حيث وضعتني أمي، فظن دهنش أنني القربان الذي أحضره جمال لاسترضائه، ومن هنا بدأت المعاناة.

لم أرضع من ثدي أمي قطرة لبن واحدة، فكلما همت لترضعني؛ رفضت وامتنعت عنها، قدمت لي لبنًا صناعيًا، قدمتني لكثير من المرضعات، غير أنني لم أقبل شيئًا من هذا كله، وبقيت بلا طعام يبقيني على الحياة، لكنني بالفعل بقيت رغم ذلك.

الذي لفت الأنظار نحوي، وهذا هو الأكثر غرابة على الإطلاق، أنني كنت أختفي روحًا وجسدًا، في بعض الأحيان، أمام أعين أبي وأمي. ثم أعود بعد ساعة على غير بكاء، نائمة وحسب. دخل الشيخ طه حياتي فيما بعد، وبدأ يتابعني عندما علم بوجود الفارس الأبيض، إذ علم منه كل شيء عن حادثة الولادة، تعاهد معهم على حمايتي طوال ما بقي له من عمر. أتممت سن الكلام، فبدأت أتفوه بما أرى وأسمع، من حيث اللاشيء.

كان عليهم أن يقوموا بالاتصال المباشر عندما بلغت سن الثامنة عشرة؛ حتى يتثنى لهم حمايتي بطريقة أكثر فاعلية، خاصة وأن دهنش لا يتناءى عن الوصول إلي، وإنه لم ييأس أبدًا في إيجادي، حتى واتته الفرصة الحقيقية. فبعد أول لقاء بيني وبين سيفري، حدث ما حدث، وكان من بينهم خائن لم يستطيعوا تحديد هويته.

وشمني دهنش حينئذ بوشم له شكل ثعبان، على فخذي الأيسر؛ حتى يتثنى له إيجادي على الدوام، بلا احتياج إلى جاسوس خائن.

لا أعلم على وجه الحقيقة، إن كانت سيفري قد روت ظمأ الفضول، لدي، وأراحت قلبي من الظنون والتفكير الطويل، أم زادت الطين بلة. فهي لا تعرف على وجه التحديد سر احتياج دهنش الشديد لي، لكنها تمنت لى أن أكون بخير على الدوام.

بعدما أنهت حديثها، كنت كمن سحقته قاطرة ثقيلة، إذ لا يستطيع عقلي الصغيرأن يستوعب الأمر برمته، على هذا الشكل البائس. لكن للأسف أعلم علم اليقين أنها صادقة، وقد رأيت مجمل ذلك في إحدى رؤاي، لكنني لا أعلم

مـا يتوجـب علـي فعلـه، ومـا الـذي سـتؤول إليـه الأمـور، لـم أنبـث ببنـت شـفه، وبقيت على حالتى حتى غلبني النعاس، نعاس جديد حدًا، فنمت بلا نوم.

جسدي ملقى على السرير، نائم، لا شك في ذلك، بينما ظلت عيناي مفتوحتين على اتساعهما، بأرادة العقل غير المغيب: «هل تظنين يا سيفري أنني أستطيع مواجهة كل هذا الشر وحدي..؟» سألتها كي أستوعب الأمر أكثر، لأنني كبشر، فتاة في مثل هذا السن، لست على يقين تام بما يحدث، ولولا أنني أراها، وأن ما حدث قد حدث أمام عيني الكاذبتين في كثير من الأوقات، لصدقت أنني مجنونة، وطلبت سكنى المصحة النفسية. تابعت: «يا سيفري.. بداخلي أشياء كثيرة جدًا، معكوسة، وأريد أن أحيا مثل بقية الناس، أتمنى ذلك على الدوام.»

كنت على الدوام أحلم بأب دافئ القلب، أحسه بالأمان التام بين أحضانه، لكن للأسف رُزقت بأب صعب المراس، عصبي لدرجة أنني في أكثر الأوقات أتلاشى رؤيته، أهرب عند رجوعه من العمل، أتصنع النوم. تمنيت كذلك لو كنت لي صحبة مع أمي، أتكلم معها كما أريد، أقص عليها كل شيء في حياتي، لكنها للأسف الشديد لا تستطيع التواصل معي، لأنها لا تستطيع فهمي، أو ربما هي تتصنع ذلك. أبي وأمي على هذه الحالة، بالتالي لابد وأن تكون أختي كذلك، على شاكلتهم، تعيش حياتها طولًا وعرضًا في أنانيتها التامة، لا تكلمني، ولا تجالسني، ولا تأكل معي، فقط، تسبب لي الكثير من المشاكل، كأنما أنا الخادمة التي اشتروها للعمل على راحة الجميع في البيت. تابعت: «الذي علقني بكِ يا سيفري طيبتكِ وحنانك الدائمين، ربما يرضيني الله بكِ، لذلك أتمنى ألا تتركيني أبدًا، إلى أن أموت، رغم أنني أود لو أعيش حياة البشر.»

«أنا معك على الدوام يا نارين _قالت وهي تمسد على جبهتي_ وسأظل إلى ما شاء الله، أبعد عنك كل شر يا حبيبتي. الآن حاولي النوم بلا تفكير؛ حتى يرتاح عقلك، فهو لا يزال يقظًا.»

- سأحاول صدقيني، سيفري.. هل تنامين مثلنا..؟ أقصد، هل حياتكم كحياتنا..؟

- غدًا سوف أصطحبك لترين كل شيء، لكن ارتاحي في نومك.
- حاضر. تصبحين على خير.

هدئت أعصاب عيني، فانطفأتا، عندئذ بدأ العقل يهدأ هو الآخر، يرتخي، ينسى كل شيء من حوله، ليحتضن الجسد كل قطعة في الفراش، كأنما هو حبيب غاب كثيرًا، رغم نومي المستمر فوقه.

نحن في احتياج دائم إلى النوم، لا لكي ننسى، ولكن على الأقل لنرتاح من الفكر بعض الوقت، الذي لا يدوم. لكن تظل الأحلام على حالها، تسفك دم النوم.

الآن أقف حافية القدمين، وحدي، في قلب صحراء شاسعة، تحوطني من كل جانب. أجري وراء الوهم طويلًا، فلا أصل ولا أجد في الذاكرة رائحة أسير عليها. أرتكز بركبتي على الرمل الساخن، أبكي بلا انقطاع. بعد مدة من الزمان ظهر باب حديدي أمامي، بلا جدران، نحتت عليه بحِرفيّةٍ واتقانٍ أشكال لطيور غريبة لا أعرف لها نوعًا، بجواره وقفت أفعى عظيمة ملتفة حول نفسها، تفتح فمها على آخرة كأنما ستبتلعني، وسط الطيور مجهولة النوع حُفرت حروف كثيرة للغة غريبة لا أعرفها، من خلفه بدت الصحراء على طبيعتها، كأنما ارتفع للتمويه جهلًا وحسب. لم أنو المرور من خلاله، لكنني سمعت همسًا لحوحًا من خلفي: «لا تدخلي، لا تدخلي يا نارين.»

نظرت خلفي، لم أجد أحدًا. وجهت وجهي للباب مرة أخرى، ليفاجئني الشيخ طه مرتديًا جلبابًا وشالًا أبيضين، يلقي بعض التعاويذ على الأفعى المخيفة حتى اختفت. من خلفه وقف اثنا عشر كيانًا، يرتدون ثياب الرهبان، ولا يظهر منهم شيء، يقفون على طريقة الصلبان، كأنما يرحبون بي.

صوت صرير الباب أصم أذني، صعقني، إذ انفتح. ابتسم لي الشيخ طه مرحبًا بسمته الهادئة: «ادخلي يا نارين.» قال يشير لي ناحية الباب، أضاف: «الآن أنت بخير.»

بخطوات ثابتة تقدمت ناحية الباب، في نصف المسافة أحسست بحركة غير طبيعية، حاولت النظر خلفي، لكنه منعني، ازدادت الحركة حتى صنعت عاصفة شديدة، لا قبل لي بها، كان ينظر إليها الشخ طه بغضب، تابع: «لا

تنظري خلفك يا نارين، أسرعي يا ابنتي، أسرعي ولا تنظري خلفك.»

دلفت من الباب إلى المجهول، لكن قلبي اطمأن بوجود الشيخ طه. اختفت الصحراء في الجانب الآخر من الباب، ليحل محلها مغارة طويلة، أرض مفروشة بالحصى الأحمر، جدران حجرية تحمل نفس ما حمله الباب من نقوش، من بين هذه النقوش برزت نقشة خفية، خرج منها سائل أزرق اللون، متوهجًا، امتد في طول الجدارين كالوريد.

انفجرت الأرض من تحت قدمي، ينبوعًا من الماء قرمزي اللون، بديع المنظر، حجزني عن مواصلة السير داخل المغارة. في الجانب الآخر تحلقت الكيانات الإثنا عشر حول شخص، لم أر منه سوى ظهره، ربما هو الشيخ طه. يتناقشون بصوت خفيض لم أسمعه.

وقفت على حافة الينبوع لأرى عمقه، فإذا بالأفعى التي حاربها الشيخ طه، تخرج لي أعظم من ذي قبل. عيناها مليئة بالشر، أخرجت لسانها المشطور، نظرت إلى الباب من خلفي، لا أثر له. صرخت كثيرًا، ناديت على الشيخ طه، ناديت على سيفري، احتميت بالحائط من خلفي، لكن الأفعى طاردتني بكل ما تحمل من شر: بفحيحها، وزحفها، ولسانها حتى لسعتني في فخذي الأيمن. قمت من النوم فزعة على إثر الألم الذي لحقني إثر لسعتها، وجهي متعرق ورجفة شديدة تسري في كامل جسمي، ولساني لا يستطيع النطق، أمسكت بفخذي الأيمن وصرخت باكية. لم يسمعن أحد في البدء سوى سيفري، حيث قامت بتهدئتي قبل مجيء أمي: «ماذا بك يا نارين..؟ لماذا تصرخين..؟ قولي أنه كابوس مثل كل مرة، كل يوم كابوس كابوس، الأمر فاق حده، ما الذي سيقوله الجيران..؟ العيشة أصبحت هبابًا بلون البلك.» قالت كل ذلك مرة واحدة، لقد حفظت ما عليها قوله، ثم خرجت من غير أن تطمئن علي، متأففة على الدوام. أغلقت الباب غاضبة من ورائها، فقلت: «أرأيت يا سيفري، هذا حال أمي معي، لم يشغلها ما أنا فيه، لم تأخذني في حضنها، لم تسألني عن حالي.»

ربتت سيفري على ظهري: «ستكون الأمور بخير يا نارين، لا تحزني.»

وخزة أحسست بها في الفخذ الأيمن، في المكان نفسه، الذي لسعتني أفعى الشر فيه أثناء الحلم. تزايد الوخز في نفس المكان، نزعت السروال عني لأرى السبب في ذلك، فإذا بوشم لأفعى ملتفة حول نفسها، تمامًا كالتي رأيتها عند الباب، أريتها لسيفري: «هذه ما حلمت بها يا سيفري، كيف أصبح الأمر حقيقة..؟ أنا خائفة.»

صمتت سيفري لبرهة تفكر في ما حدث: «الأمر لم يكن حلمًا يا نارين، هل قام أحد بعضك في الحلم..؟»

- الأفعى فعلت ذلك، هذا ما أيقظني.
- الأمر مقلق بالفعل، أنا لم أغفل عنكِ للحظة، لم أرحل، كنتِ نائمةً أمامي، كيف حدث هذا من دون انتقال فعلي..؟ لابد وأن أستشير أبي، لكن لا يمكنني تركِ الآن، سوف آخذك معي.

أمرتْ صالح بأن يستدعي نور الفجر لتحل مكاني، إلى حين عودتي. استجاب للأمر، وأخبرا بأنه سيظل معها كي لا يشك أحد في الأمر. حينئذ أمرتني سيفري بتبديل ثيابي.

بعدما أتممت تبديل الثياب لمحت بطرف عيني شابًا قد انتقل إلى حينا حديثا، كانت الشرفة مفتوحة، توجهت إليها كأنني أستنشق الهواء، لكن قلبي لوهلة كان يعزف نبضًا خاصًا له، ليس لأحد آخر. ترى ما هذا الاضطراب الذي يعتريني لرؤيته..؟ ولماذا أريد أن أبقى أمامه على الدوام..؟ لو أنه فقط يراني..! لحظات وجاءتني سيفرى، تقف خلفي بثبات تام وابتسامة على وجهها تخفي معان كثيرة: «هيا بنا يا نارين، جاءت نور الفجر واتخذت مكانك.» رجعت إلى الحجرة مرة أخرى، أغلقت الشرفة، أثار فضولي أن أرى بديلتي، بنظرة خاطفة رأيتها: «سبحان الله..! كأنني أمام مرآة، نحن متطابقتان تمامًا.» ابتسمت سيفري وربتت على ظهري: «بالفعل.» قالت، ثم وضعت يديها على جبيني، وتلت بعض التعاويذ، في طرفة عين أخذتني إلى مجلس والدها، حيث كان ينتظرنا برفقة آخرين لا أعرفهم.

ألقينا السلام، وإذا بمقاعد من الذهب الخالص، تظهر لنا من العدم، عليها أسماء الله الحسنى مرصعة بحبات لؤلؤ تخطف الألباب.

أخبرتهم سيفري بالوشم، ومن ثم حكيت لهم الحلم الذي رأيته بأدق التفاصيل؛ فانتفض واحد من بينهم، قال: «هذا رمز لتحديد موقعها، ليس هذا وحسب، نارين لا تحمل رموز الحماية كاملة، وجب على الشيخ طه الموكل بها أن يقوم بوضع كل الرموز.»

قال آخر: «بهذا الوشم يستطيع دهنش إخفاءها عن الجميع، بل ويستطيع احتلال جسمها، وقد يكون بيننا الآن يسمع ما نقول.»

أمر سيفري والدُها بأخذي لإتمام جميع الرموز، وجه حديثه للجميع: «كل منكم عليه أن يعطيها الرموز الخاصة به؛ حتى تكتمل الحماية. وعلى الجدار الذي يحمل صورتها أحد عشر رمزًا مخفيًا، والمفتاح الرقمي، لن يستطيع أحد رؤيتها سواها، دعيها تملي عليك الرموز يا سيفري فور الوقوف أمامه. أما أنا فسوف أفعل دائرة الحماية؛ حتى لا يتمكن أحدهم من شن غارة علينا، إلى أن ننتهي من الأمر.»

أخذتني سيفري على عجلة من أمرنا، أرتني الجدار الذي يحمل صورتي، والذي رأيته من قبل. عندما وقفت أمامه ظهرت لي تلك الرموز:

99	77	ن	س	ๆ	ๅ	๓	๔	๕	๗	๘	๙	๏

سريعًا أخبرتُ سيفري بأن الرموز قد ظهرت لي. فطلبت مني نزع الثياب، فعلت، قالت: «ابدئي بالأرقام، فهي المفتاح لكل رمز، اكتبي الرموز على جسمك، بداية من الثدي الأيمن.» من اليمين إلى الشمال، بدءًا من الأرقام التي تعد بمثابة مفتاح ثنائي، كتبت هذه الرموز وغيرها، بحبر أعدوه لذلك، بداية من ثديي الأيمن ثم الشمال ثم فخذي الأيمن فالشمال، ثم أملتني ما تبقى وطلبت مني كتابته على عورتي. بعدما انتهيت من الكتابة، شعرت وكأن نارًا تأكل جسمي بأكمله، فطمأنتني سيفري: «لا تخافي يا نارين، إحساسك بالوجع دلالة على أن الرموز قد تم تفعيلها.»

جاء الفارس الأبيض بعد أن ارتديت ثيابي مرة أخرى: «عليكم العودة الآن - قال لرفيقه الدائم - كان راكان محقًا، فلولا تفعيلنا للحماية؛ لقامت

حرب ضارية هنا.» ألقى إلى نظرة رفق، أضاف وشبه ابتسامة على وجهه: «نارين.. الحب ليس سهلًا يا ابنتي.»

«حب..! أيّ حب..؟» أجبته في تعجب، زادت ابتسامته، قال: «الجار الجديد، أريدك أن تفكري جيدًا في الأمر، هل سيتقبل ما أنت عليه، أم ستخفين عنه الحقيقة..؟ وإن أخفيتها زمنًا فلابد يأتي يوم يعرف فيه كل شيء، وعلى كل لك حرية الاختار.»

- هذا مجرد فضول، ليس إلا، ولست أعرفه كي أحبه، ثم إنني لا أعرف الحب.

أبديت ابتسامة لسيفري، سألتها: «متى سنرجع للبيت يا سيفري..؟»

بادلتني الابتسامة، نظرت لوالدها وأغمضت عينيها للحظة، أجابت: «الآن يا نارين.»

أعادتني بنفس الطريقة التي أحضرتني بها، لا أعرف ساعتها ما الذي شدني للوقوف في الشرفة، ويا لسعادتي..! كان يدخن لفافة تبغ، ويحتسي فنجالًا من القهوة. وجه نظره إلي بعد فترة وابتسم. بخجل أدرت وجهي للناحية الأخرى، ترى ما اسمه..؟ كم عمره..؟ متوسط القامة، ذو عينين بنيتي اللون، شعره أسود لامع، وله لحية قصيرة وبشرة خمرية، لملامحه جمال خاص شدني إليه. يا الله.. لم أنظر إليه كثيرًا وقد ثبتت ملامحه في ذهني، لا بل فعلت، وها أنا ذا أغمض عيني حتى يكون آخر ما رأيت، من ثم أعطيته ظهري لفترة قصيرة، عاودت النظر خلسة إليه، لأجد شرفته فارغة، شعرت بضيق وهممت بدخول الغرفة، لكنه خرج مجددًا وقذفني بشيء، يا لهذ الجنون، هل فقد عقله لكي يرمي الأشياء في وجهي..؟ كان مشبكًا ذلك الشيء الذي رماه لي، يعض بفكيه على ورقة كتب فيها رقم هاتفه، ومن تحته وضع إمضاءه: "أحمد". رجعت للنظر إليه، فوجدته يتحدث لي بالإشارة، طالبًا مني أن أهاتفه، فابتسمت له بأستحياء وعدت إلى غرفتي في لهفة باحثة عن هاتفي، ترى أين هو الآن هذا الهاتف..؟ عندما وجدته طلبت الرقم فإذا به يجيب بسرعة، وكأنه ينتظر اتصالي: «أهلًا نارين، كيف حالك..؟»

أجبته مندهشة: «هه..! هل تعرف اسمي..؟»

- طبعًا أعرفه، أنا جارك من شهرين، من أول يوم رأيتكِ فيه وأنا أحلم بالحديث إليك، لكنني كنت خائفًا، بالأخص عندما عرفت أنك في حالك ولا تخرجين.
- مندهشة مما أسمع، أنت تعرف عن حياتي الكثير.
- في الحقيقة هناك شيء شدني إليك من أول يوم رأيتكِ فيه، أريد التحدث معكِ والقرب منكِ، لا أدري لماذا أفكر في كل تفاصلك..؟ ما الذي جرى كأنك ساحرة.

انقبض قلبي على إثر كلمته الأخيرة، سكت فترة، كأنه يعرف شيئًا مما أنا فيه، لكنني سرعان ما عدت بثبات شديد: «كفانا الله شر السحر والسحرة.»

- آسف.. لم أقصد هذا أبدًا، أقصد أنني افتتنت بك يا نارين، أنت آية في الجمال.

عد لي كثيرًا من مفاتني التي أعرفها جيدًا، كأنما يعيش معي، وقد زادت دهشتي، لكنني رغم ذلك أحببت ذلك منه: «يبدو أنك كنت تراقبني، أنت تعرف كثيرًا من تفاصيلي.»

أخبرته أنني كذلك مشدودة له، كأن شيئًا غريبًا يجذبني إليه بقوة، وقد حفظت ملامحه وتفاصيله، لكنني لا أعتقد أن هذا الشيء حبًا؛ لأنني لا أعرف الحب، ولا أعرفه. ولست أحسه مثل أخي، لأنه شعور لم أشعر به يومًا رغم أني لي أخت. وبالطبع لسنا صديقين، لأنني متوحدة في نفسي. لم أتعود على المضي خطوة دون معرفة النهاية. إحساسي به فيه دهشة كبيرة بالنسبة لي، والذي صدمني أكثر أن مشاعره قريبة مني، أضفت: «لكن لو كنت تكلمني للتسلية؛ فقد أخطأت الرقم، لست كأي فتاة، لا أملك أي شيء لك، ولا أملك كسرة قلب، لكن لو أنك أردتني حقًا فأنت تعرف البيت وتعرف أهلي، فكل ما أستطع أن أعدك به، هو أن أرد على مكالماتك فقط.»

- نارين.. أنا أفهم الأصول وأعرف ما تقصدين، ولذلك أريدك أن تعرفينني كي تحكمين على حالي. ليس لي إخوة، وحيد أبي وأمي، هما موظفان، وأنا أعمل في الخليج، ليس أمامي سوى أسبوع

واحد وأرجع، أتمنى لو يعرف كلانا الآخر أكثر، ولو شاء الله فسوف أتقدم لك، وقد احترمتك واحترمت صراحتك.

أعجبني شخصه كثيرًا، لذلك ازددنا تعارفًا، يعمل محاسبًا في الكويت، ينزل إجازة مرة واحدة كل عام، قال أن حظه هو الذي ساقه إليّ هذه المرة؛ ليراني وينجذب لي، وتنقلب حياته كلها. أعجبني كلامه كثيرًا، أخبرته أنني لأول مرة أسمح لأحد بالدخول في حياتي، لذلك أخبرته أنني شخصية حساسة وعصبية، أفرح في لحظات وأغضب كذلك في لحظات، أكره الكذب كثيرًا، ولا أسامح فيه أبدًا.

أعجبه كلامي، إذ وفرت عليه الكثير من خلال الصراحة، لأن الصراحة هي القاعدة الأساسية التي نستطيع أن نبني عليها علاقة جادة.

أحسست بالإرهاق، فطلبت منه أن يتركني لأنام، لكنه رفض بداءة الأمر، ووافق في نهايته عندما أحس بالتعب يغلبني: «سوف أوقظك غدًا، تصبحين على خير.»

- وأنت من أهل الخير.

تركت الهاتف بجانبي وبداخلي مشاعر متضاربة، كيف لقلبي أن يكن له كل تلك المشاعر وأنا لم أتحدث إليه سوى الآن..؟ كيف أتيّم بمن لا أعرفه سوى من سويعات قلائل..؟ يا الله أخبرني.

من العدم الممتلئ خرجت سيفري، ارتعدت فرائضي، فنهضت من جلستي: «أفزعتيني يا سيفري، حرام عليكِ، حاولي أن تدخلي بطريقة غير هذه، لقد جف دمي.»

ضحكت قائلة: «لابد وأن تتعودي يا نارين، قوي قلبك الرقيق، فالقادم قاس وموحش، لا نعلم ما هو، كوني على استعداد تام لكل ما هو غير متوقع، حتى في عالمك يا نارين، تعودي ألا تثقي بسهولة، ألا تعطي الأمان، فبقدر ما يكون عطاؤك، يكون الألم والقهر. ألم يقل البشر: الوجع على قدر المحبة..؟ فلا تجعلي لك نقطة ضعف يستغلك بها أحد من كلا العالمين، واستقوي، فالحياة تدهس الضعفاء.»

_ كلامك مليء بالحكم، لدك حق في قولك كله، لكن لو انعدم الأمان والثقة والحب، تنعدم الحياة يا سيفري. من الممكن أن أكون مخطئة في نظرتي، وقد تكون صراحتي وبراءتي بلا إيواء في هذه الحياة، لكنني أتمنى لو أحيا وأموت بالطهر نفسه والبراءة والقلب الأبيض، كي أكون على قدر الأمانة عند موتي.

أخبرتها بمدى حبي لله، لأنه كريم ويرحمنا على الدوام، حتى في الابتلاءات. أحب الصلاة له، أحب الركوع والسجود، أحب الله وأعتبر أن القرآن رسالة منه لي. لست أعبده خوفًا منه، بل أعبده بالحب قبل الخوف، بالطاعة قبل أي شيء، أكره عصيانه، بيني وبين الله علاقة حب بحتة، خالية من النفاق والرياء. غيري يعبده خوفًا من النار، يعبده رياءً من أجل الناس. كانت تفهم كل كلمة أقولها، لذلك أخبرتني بأن الله منحني مميزات لم يعطها للكثير من الناس، وأنني أهل لها، ودعت لي بالبركة.

«الآن علينا البدء مع الشيخ طه في المرحلة المتقدمة.» قالت سيفري، أضافت: «القادم أصعب بكثير يا نارين، لذلك كلانا سيعلمك قراءة الطلاسم والتعاويذ، وبعضًا من فنون السحر، لتعرفي كيف ستتعاملين مع جهمار أو دهنش أو مع غيرهم من أهل الشر.»

«لكنني مرهقة يا سيفري.»

«لا تخافي سنبدأ من منتصف الليل، لكن لابد وأن تعرفي أن هناك عهدًا بألا تستخدمي ما تتعلمينه في ضرر أي مخلوق، وإنه للنفع ومنع الأذى وحسب. قومي بتصفية ذهنك من أجل الأمر.»

«سأحاول يا سيفري، صدقيني.»

باركت لي قبل الرحيل، أن تملكت قلب الجار الوسيم. لكنها حذرتني من الذنوب والكبائر والاستهانة بحدود الله. وكذلك طمأنتني بأنهم لا يسمعون شيئًا مما يدو بيني وبينه، لأنهم لا يتجسسون. أخبرتني أنه سوف تعلمني بعض التعاويذ لأستطيع صنع حقل عازل بيننا إن أردت الاختلاء بنفسي، على شريطة أنني سأكون في خطر لو اقترب مني الشر، لأنهم لن يروني حينئذ، لذلك فهو للضرورة وحسب.

ابتسمت لها محرجة، أومأت ألقت السلام واختفت.

عدت إلى الفراش، أخذت وسادتي بين ذراعي، حاولت النوم لكن العقل أبى إلا أن يبث علي كل ما حدث خلال اليوم. أفكر في كل التفاصيل بروية، في كلام الفارس الأبيض عن أحمد، وكلام سيفري، لكنني بكل آذان صاغية وبكل صدق، أردت الاستماع إلى قلبي الذي أحبه هكذا بهذه السرعة. فهو الذي رأيته كثيرًا في أحلامي، يجوب بي الحدائق الغنائة، يسعدني بكلامه الرائق، يذيقني سعادة العالم، في كل لحظة، في كل حلم. يا ترى هل سيتحقق كل ما رأيت أم سيكون الواقع مختلفًا..؟

التفكير أخذ مني شوطًا طويلًا، لكنني تركت الأمر لله ونمت، كي يهدأ بالي.

في الوقت المحدد أيقظتني سيفري، وقد جهزت نور الفجر لتأخذ مكاني. انتقلت بي لمكان آخر يدعى ديوان السجلات، سوف أتلقى فيه كل العلوم، كان الشيخ طه قد سبقنا.

المكان يضم كل العلوم المعروفة لدى الجن والإنس من بداية الخليقة، كأنه متحف يعرض فيه التاريخ بشكل موسع للغاية. ذو أرض صخرية ناعمة، نحاسية اللون. جدرانه صنعت من شيء أقرب ما يكون إلى حجر الرخام، لكن ما أمعنت النظر حتى شعرت بأن ماء يتحرك فيها، يتخللها، فقالت سيفري ما أن رأتني أمعن النظر: «هي شفافة يا نارين، ومن خلفها شلالات عظيمة.»

ظهرت من العدم، طاولة زجاجية مستديرة، من ثم ظهر مقعد من الذهب قماشه باللون الأحمر، كأنه مقعد ملكي, إلى جوارة ظهر مقعدان آخران مختلفان بعض الشيء، أجلستني سيفري على المقعد الذهبي، وجلسا هي عن يمني والشيخ طه عن شمالي، وما أن وضعت يدي على المقعد حتى شعرت برهبة وهيبة كبيرتين، تملكتني ثقة غير معهودة فقلت: «الآن أنا مستعدة لأي شيء.»

وضعت سيفري يدى على الطاولة، ليظهر تحت راحتي كتاب أسرني من النظرة الأولى. كان كتابًا لراحته عبق التاريخ، بغلاف صنع من الفضة،

مرصع بالياقوت على حوافه الأربع، وكتب عنوانه بالذهب الخالص. فتحته فإذا بدم يخرج منه يتحول للون الأسود، فجأة التصق براحتي وراح حجمه يصغر حتي اختفى، حينها شعرت بدوار رهيب، وحلقى أصبح جافًا كأنني مخدرة، شعرت بأوصالي تئن كالناي، سكرت بعبق الكتاب حيث أصبح الآن داخل رأسي، نعم لقد اختفى الكتاب بداخلي، وتسربت علومه بعقلي، وغذت كل شرياني، فانتفضتُ وصارت بي رعشة شديدة ووهن، بعد بضع لحظات وبمنتهى النشاط، قمت متوجهة ناحية الحائط المقابل، وضعت يدي حتى انشق الحائط وظهرت مكتبة ممتلئة بالكتب المختلفة وقلت: «أظن أن هذه المكتبة فيها جميع العلوم المتاح لي تعلمها، إلى هنا دوركما سينتهي، القادم لابد وان أتعلمه بنفسي. شيخ طه.. بقي أمامك شيء واحد فقط لتعلمني إياه.»

أبدى الشيخ طه ابتسامة، حيث أخذته الدهشة: «ما شاء الله، لم أتوقع أن يكون هذا هو رد فعلك، تثبتين لي الآن مدى قوتك يا نارين، لم أتخيل منك ذلك.»

أخبرني أنه سيعلمني كيفية التفريق بين أنواع السحر، ومعرفة النافع والضار. فرددت وراءه كلامًا كثيرًا بدأه بقوله: «بسم الله رب الأكوان، بسم الله السميع العليم الجبار، مالك كل شيء، ورب كل شيء...»

بعدما انتهى من أمره شكرته سيفري: «أتممت مهمتك على أكل وجه يا شيخ طه، ولا تدري كم أدهشني تركيزها وسرعة البديهة لديها، لترحل الآن وسوف أكمل معا.»

بعد رحيل الشيخ طه علقت على كلامها راغبة في الراحة: «هل سأتعلم كل شيء في يوم واحد..؟ من الممكن أن نكمل غدًا، فقد أرهقني الأمر.»

- من المستحيل أن تتعلمي كل شيء في يوم واحد يا نارين، لكن للأسف، أمامك الكثير لتتعلميه، والقليل من الوقت، ثم إن ما سأعلمك إياه الآن هو أساس كل ما هو قادم. سأعلمك السريانية والقبطية والعبرية وبعض اللغات التي لم تسمعي بها من قبل، هذا من أجل أن تتعرفي إلى أي كلمة بلغة مختلفة قد تقابلك، فلا أحد

يعلم ما القادم. فالسحر والطلاسم لا يكتبان بالعربية وحسب، فكل نوع منهم له لغته وتأثيره.

أخافني كثرة اللغات التي ذكرتها، فأنا لا أعرف باستثناء العربية سوى الإنجليزية وحسب، لكنها طمأنتني.

وقفت أمامي تنظر إلى عيني مباشرة، وبمنتهى التلقائية أغمضتُ عيني، فضغطت بإبهاميها على جانبي رأسي، وسرعان ما عاد إلي الصداع، لكن هذه المرة كان أكثر ضراوة وأشرس. توقف جسدي عن الاهتزاز، ولم أعد أتذكر شيئًا، أين أنا..؟

تغير المكان فإذا بالفارس الأبيض، وراكان، وصالح، وهاروني. جميعهم موجودون، لم يكن أي منهم معي، ما الذي حدث..؟ ساعدتني سيفري على الاعتدال في جلستي: «الحمد لله على سلامتك، أقلقتنا عليك يا نارين.» قالت سيفري وهي سعيدة، سألتها: «ما الذي حدث..؟ ولم جاء الجميع..؟»

هدأتني، وأخبرتن بما حدث. فقد تخطى الأمر طاقة الاحتمال لدي، عندما كانت تمرر العلوم إلى رأسي، فسقطت بين ذراعيها، مغشيًا علي، لذلك قامت بإحضاري إلى مجلس أبيها، وأحضروا الطبيب فصنع دواء خاصًا لي. وقال: «تحتاج إلى راحة، فلقد تلقت الكثير من العلوم دفعة واحدة.»

ظننت أن وقتًا طويلًا قد مر علي، فقالت سيفري: «لا تخافي، أربع ساعات فقط، ولم يدخل أحد حجرتك، وإن حدث فنور الفجر مكانك.»

ابتسمت لها: «اطمئني لن يدخل أحد حجرتي، تقريبًا ينسون أنني موجودة في حياتهم، لكنني أريد الرجوع فلم أعد أحتمل الإرهاق.»

عدت لغرفتي مرة أخرى، وما أن جلست إلى مقعدي حتى طلبت من سيفري أن يتركوني بمفردي قليلًا، فلقد وجدت بضع مكالمات من أحمد وأريد أن أكلمه قليلًا قبل النوم. أومأت لي موافقة. وما أن رحلت حتي اهتزت الأرض من تحتي، وبدأت تبتلعني، كأنها رمال متحركة. سقطت بقوة داخل بئر لا قعر له، أسبح باحثة عن الحياة، غير أن الماء تغمرني، تكبلني، تعميني، إلى أن وصلت لشق فيه رأيت منه مكانًا مضيئًا، سبحت إليه فإذا هو

بحر لا آخر له. السماء صافية والشمس مشرقة. يا الله أين أنا..؟ ألتفت يمينًا ويسارًا لا أدري ما العمل..؟ ماذا أفعل..؟

بعد بضع دقائق عدت إلى غرفتي من جديد، لا أعرف كيف حدث ما حدث، أكان حلمًا..؟ لكن لا ثيابي مبللة، فكيف ذهبت وكيف عدت من جديد..؟ لا أدري.

تذكرت أحمد ومحاولته التواصل بي. آه لو فقط يمكنني إخباره..؟ هل سيأتي يوم أخبره كم أعاني وكم أرتجف من الخوف..؟ أتمنى لو فقط يأخذني بين أحضانه حتى أشعر بالأمان. أمسكت هاتفي وطلبت الرقم، أجابني بقلق ولهفة وعصبية والاضطراب يسكن كل نبراته: «أين كنت يا نارين..؟ وما الصريخ الذي سمعته خارجًا من حجرتك، والنور الذي ينطفئ ويعود..؟ هل ضربك أحد..؟»

كرهت منه هذا القول، أحسسته يريد الإيقاع بي، فتحت الشرفة لأريه الحجرة كي يطمئن. غير أنه زاد الطين بلة وقال أن الكثير من الناس وقفوا تحت شرفتي يتساءلون عن سبب الصراخ والأشياء التي تنكسر في حجرتي. امتلأت غضبًا، فصارحته: «لم يحدث أي شيء مما قلتَ، كل ما في المر أن أحد أصحابك أخبركَ أنني ممسوسة، وأن أشياء غريبة تحدث في حجرتي، لم تصدقه فسألت غيره، والكل أكد لك نفس الكلام.»

لذلك قرر أن يخترع القصة التي قالها، متناسيًا عهدي معه بالصراحة. تابعت: «لو أنك سألتني؛ كنت أرحتك بالحقيقة.»

كان يختبرني ليرى ما سأقول، لكنني كثيرًا ما أكره هذه الطرق لمعرفة الحقائق.

أخبرته بما يريد أن يعرف، لا أكثر ولا أقل: الكوابيس التي تجيئني، فزعي أثناء القيام منها، صراخي الذي يسمعه الكثيرون لأن حجرتي في الطابق الأول. ولأنه لم يصارحني بالأمر على حقيقته؛ طلبت منه إغلاق الهاتف.

لم يقبل: «لقد سمعتك يا نارين، ولا أنكر أنني أخطأت، لكن ضعي

نفسك بدلًا مني، هل تودين أن أجرحك وأقول أن الناس تقول عنك كذا وكذا..؟»

_ لا بل تفعل ما حذرتك منه، ألم تقلها الآن، ألم تجرحني..؟ ولنفترض أنني كذلك، فهل ستبتعد عني..؟ أتمنى أن تقول الصدق قبل أن تجاوب.

_ بالطبع لا لن أبتعد عنك مهما كان الأمر، وسوف أساعدك للأبد، ربما لأنني، لأنني، لأنني أحبك يا نارين.

خفق القلب في جنون عند سماع تلك الأحرف، تمنيت لو يعيدها مرة أخرى. قلبي أجاب قبل لساني: «أنا أيضًا أحبك، أنا أيضًا أريدك يا أحمد، أريدك أبًا ووطنًا وحبيبًا طوال العمر، أريدك كل شيء في حياتي.»

تهت في ما أتمنى، مطلقة عنان القلب يحيك أحلامه كيفما يشاء، لكنني سرعان ما عدت لأسمعه يناديني: «نارين.. أين ذهبتِ..؟ ألو، ألو.»

- معك يا أحمد، آسفة، تهت منك، ما الذي كنت تقوله..؟
- كنت أقول أتمنى لو أراك.
- كنت أمامك قبل دقيقة، هل أجلس أمامك في الشرفة..؟

كان يريد أن يراني رؤية حقيقية، يخرج معي، ولا أنكر أنني تمنيت ذلك، لكنني لا أخرج من البيت وحدي، لذلك اقترح الماسنجر، فأبديت موافقتي، ووعدته بأن أبعث له راط صفحتي الخاصة في رسالة. تمنى لو أضحك، وعدته كذلك بأنني سوف أسجل له ضحكتي، كان سعيدًا وكنت كذلك، قبل أن يحدث ما حدث.

ظننت أن الرصيد انتهى، فقد انتهت المكالمة، غير أن الهاتف استحال حجرًا من سجيل في يدي، لا أدري ماذا يحدث، حتى أن يدي احترقت منه. هزات عنيفة لا أعرف من أين جاءت، حركت البيت لدرجه أنه كاد ينهار فوقي، لم تمر سوى لحظة واحدة ليظهر لي جهمار بكامل هيئته الغضوبة، يهددني بعقاب لا قبل لي به، إثر حبي لهذا البشري الفاني، لكنني لم أخف هذه المرة، لم تتحرك لقوله شعرة مني، بل ألقيت عليه تعويذة من بين التعاويذ الكثيرة التي تعلمتها على يد الشيخ طه، جعلته بفعل الصدمة لا يحرك ساكنًا،

عندما انتبه لما ألم به قال: «سأعود مرة أخرى أيتها الجميلة، وعندها لن أرحم أحدًا منكم، أخبرتك إما أنا وإلا فلا سواي.»

جلست شاردة بعد رحيله، يا ترى ما الذي أستطيع فعله..؟ كيف أتجاهل كلماته التي كانت صريحة ومباشرة..؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، لو أنني فقط أستطيع إخراجه من حياتي..! متى سينتهي كل هذا يا رب متى..؟ أريد أن أحيا حياة طبيعية لا أكثر ولا أقل، لكنني ويا للأسف، ولدت ملعونة منذ طفولتي، حياتي كلها لعنات، كلها مصائب، وكأن الحظ العاثر خلق لي وحدي، ليس لغيري، يا الله.

ناديت بصوت منخفض ونبرة بائسة واهنة، على سيفري، عندما حضرت قلت: «حزينة يا سيفري، أحس بطوق نار يخنقني، متى سينتهي كل هذا الأمر متى..؟»

- أشعر بك يا نارين، لكن لا أظن أنك قمت باستدعائي من أجل هذا وحسب، لديك الكثير لتخبريننني به.

كنت قد نسيت أنها لن تعرف عني شيئًا، لذلك سألتها عن قريني، لم تكن تعرف، لأنها لم تره من قبل. من أجل ذلك أخبرتها بشيء أقلقني كثيرًا.

أحدهم يذهب إلى ساحر خلال يومين، يعمل بسحر الفودا والتاروت، ذهبت إليه امرأة تدعى أم عمرو، الذي فهمته أنها مبعوثة عن طريق واحد آخر كي تصنع لي سحرًا بالمرض الدائم حتى الموت. وسحر آخر أحاول على إثره الانتحار، حيث أكون مكروبة على الدوام، مختنقة لا تتركني الكوابيس أبدًا. حاولت معرفة الأمر أكثر، فوجدت أن الذي بعثها هو الآخر وسيط حلقة، لعلها سلسة بشرية من أجل ألا يستطيع مساعدي أحد، لأننا نجهل الشخص الحقيقي. لكنه فشل بفضل من الله ولم يستطع إيذائي.

طلبت سيفري أن أقص عليها كل شيء، فكنت أظنها تعرف.

جسمي يوجعني كثيرًا، وكلما فردت جسمي على الفراش من أجل النوم، أحس وكأنني أتقلب على شوك، وكل الكوابيس التي تجيئني، لابد تترك لي إصابات أو حروق، أجدها بالفعل بعد القيام من النوم. كشفت عن قدمي

وكلي ممتلئ بالحزن، فصعقت سيفرى عندما رأت آثار أنياب، وأثر عضة نزعت قطعة من لحمي، لا يزال مكانها ينزف دمًا.

- ما هذا..؟ لماذا أخفيت علي تتابع الأمر..؟ ظننت أنه حدث عرضي.
- كنت أظنك تعرفين.
- لا لم أعلم يا نارين، الآن ابتعدي عن الفراش، تراجعي للخلف قليلًا.
- لم..؟
- ستعرفين الآن.

تراجعت إلى الوراء كما طلبت، فإذا بها تؤشر على فراشي، فأصبح الغطاء معلقًا بالهواء، وصار الفراش واضحًا أمامنا، تلت كلمات بعضها آيات، فإذا بالفراش يدور في الهواء، من الشمال يقطر دمًا، فإذا بالقطن يتناثر ليقع شيء ثقيل معه. أعادت الفراش كما كان، اقتربنا من الشيء الذي سقط، أمسكت به: «هدد، لكن ما هذه الخيوط الكثيرة، سيفري انظري ما بداخله..؟»

كان رأس الهدهد مربوطًا بعقد كثيرة، وبه ورقة طويت على شكل المثلث. ولأنني على طهارة ومحصنة جيدًا شرعت بفك تلك العقد، أفرد طيات الورقة حتى طية بعد أخرى حتى ظهرت أمامي. آيات من القرآن مقلوبة، نجمة خماسية بداخلها حروف وأرقام، تحتها رسمة لطلسم لم أره من قبل وجدول غريب. وكل ما تحويه الورقة كتب باللون الأحمر القاني. كيف لحبر أن يكون قانيًا هكذا ورائحة العفن تفوح منها..؟ أعلم أن الطائر ميت لكن.. يا الله الورقة احترقت بيدي، والطائر تحول إلى تراب تناثر ف الهواء، وقد أصبح مكانه صدنًا ممتلئًا بالدود، يا الله..!

أفرغت كل ما كان عالقًا بجوفي، إثر هذا المنظر المقزز. أمسكتْ بى سيفري خوفًا علي، وقد تحولت لشكلها الحقيقي. كانت المرة الأولى التي أرى فيها هيأتها الحقيقية، حتى إننى ارتعدت من منظرها وعدت للوراء، لكنها أمسكت بي مرة أخرى، وطمأنتني، قرأت علي آيات بعينها، ثم سقتني شرابًا لا أعرف كف أخرجته، انتفخت على إثره بطني وصحبها ألم شديد، حتى

شعرت أنني على وشك الانفجار، ومن جديد تقيأت، كأنما ألد من فمي، وقد أمسك بي ألم شديد من رأسي إلى أخمصي، كان القيء هذه المرة غريبًا عن سابقه، فهو عبارة عن قطع لحم سوداء مقرفة، أشبه ما تكون إلى الأجنة في الشهور الأولى، وسائل أصفر اللون لرائحته قرف الدنيا برمتها. ظننت أن عيني ستنفجرا مثل قنبلتين، من شدة الألم.

مر من الوقت فترة، حتى هدأت نفسي من جديد، عندئذ طلبت سيفري أن أنظر في الأكياس التي تقيأتها. بعيدًا عن شعوري بالاشمئزاز إلا إن شعوري بالصدمة والخوف كان أقوى، إذ وجدت شعرًا ملفوفًا حول نفسه، أظافر سوداء، قِطعًا من لحم نيّء، وشيء لا أعرف معالمه يشبه امرأة. كل تلك الأشياء المقرفة كانت جوفي، كيف هذا..؟ وكيف كانت بكيس كالأجنةّ..؟ أسئلة كثيرة ومتتالية طرحتها على سيفري، لكنها فقط تطلعت إلي: «لم يعد بداخلك شيء آخر.» قالت، عادت إلى شكلها الذي يشبهني، تابعت: «أنت الآن بخير.»

- سيفري أريد معرفة كل شيء عن هذا الأمر.
- لا أدري كيف أخبرك يا ناري، ولكن عاهديني ألا تتصرفي في أي شيء، دون الرجوع إلي.
- أعدك بذلك، لكن أخبريني أولًا بما حدث لي.
- هذا سحر مأكول يا نارين، أحدهم أعد لك سحرًا في الطعام، والغرض منه خراب حياتك بالمرض والانتحار.

قهرني الكلام، فمن الذي يكرهني إلى هذه الدرجة؛ كي يأذيني بهذا الشكل..؟ متوحدة على ذاتها مثلي لم تضر أحدًا طوال عمرها، لا أعرف سوى أهلي. أتعبني التفكير في الأمر، وكيف عرفت سيفري أن أحدهم قد أعد لي سحرًا ولم تعرف صاحبه. لا أعرف، هل أصدقها أم أكذبها..؟ حاولت أن تنسيني الأمر لطالما لم يمسني الضر، وأنني الآن بخير والحمد لله. لكن دهشتي من الأمر جعلتني أبتعد عنها عدة خطوات، حزينة من قولها: «كل ما أنا فيه من أذى وشر لا يكفي لتعترفين يا سيفري بأنني مضرورة رغم أنفي..؟ أين الأمان والاستقرار النفسي..؟ يا ليتني حتى كنت طبيعية مثل باقي البشر.»

بكيت على حالي، حاولت تهدئتي لكنني ابتعدت أكثر، نظرت لها بغيظ: «أقسم يا سيفري، بالله الواحد، أنكِ إن لم تخبريني بحقيقة من فعل ذلك...»

وضعت يدها على فمي، قال: «لا تكملي يا نارين، أعدك أنني سأخبرك، لكن ليس الآن، أقسم أنني سأفعل ذلك في الوقت المناسب.»

عاد كل شيء طبيعًا كما كان، الهدوء احتل المكان، الأيام تشبه بعضها لا شيء سوى أن أسعد أوقاتي هي التي أتحدث فيها مع أحمد. بات محور حياتي بأثرها، كل شيء كما هو لا جديد يعتري الأشياء كما يعتري العشق قلبي. لم تعد لدي سوى أمنية وحيدة في هذه الحياة المملة، أن أكون في رحاب أحمد على الدوام. فلا ركعة أركعها إلا وهو دعوتي في السجود والركوع، كم أنت رحيم يا الله، إذ ابتسمت لي الحياة من هذه النافذة، فوهبتنى حبيبًا يعوضني عن كل ما أفتقده.

مرت الأيام والشهور سريعًا، وصرت أكبر عامين من ذي قبل، تعلمت الكثير والكثير من سيفري، حتى إنني عالجت بعض الحالات، ولكن في السر بالطبع، حالات لم ولن تعرف هويتي أبدًا، تعرفت عليهم من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، وقدرًا كنت أعرف ما بهم من خلال كلامهم التى ينثرونها على صفحاتهم الشخصية، أو عن طريق الصدفة. بالطبع قابلت الكثيرين منهم، من يدعون أنهم مسحورون. صدق منهم من صدق، وأكثرهم كانوا مرضى نفسيين، يحتاجون إلى طبيب ليس إلا.

كنت أبدأ أيامي بمهاتفة أحمد، لا يعكر صفونا شيء، لا نختلف أبدًا، هدوء وحسب وسعادة ليس إلا، لذلك كنت أنهي اليوم معه، على الهاتف، لدرجة أنني كنت أنام والخط مفتوح بيننا، ويظل على حاله إلى أن يستيقظ أحدنا، يغلقه ويعاود الأتصال ليُوقظ الآخر.

جميل هو ذلك الشعور بالاهتمام والرعاية، هو الوحيد من بين من أعرف من البشر، من يهتم بي، يملئ حياتي كلها، يحتل تكويني. لأ أشعر بالأمان إلا معه، حتى الكوابيس ومشاعرها السلبية كانت تختفي عندما أنظر في عينيه، عبر الهاتف. كنت له الأم والأخت والصديقة، كلانا حقًا يعشق الآخر. ولكن هل تدوم تلك السعادة بيننا للأبد..؟

بالطبع لا.

ربما لأنني لي صديق وفيّ يُدعى "الحظ العاثر". لا يقبل فرحتي أبدًا.

في واحد من بين الأيام السود، التي لازمتني طوال عمري، أغرقني كابوس طويل، لم أستطع الاستيقاظ منه، إلا بعد انتهائه. كان نهاره بلا شمس، بلا أمل، لرائحته ذكريات الموت، خانق لم أستطع التنفس فيه إلا شذرًا. حاولت الاتصال بأحمد كثيرًا، لكنه لم يجب. تسلل القلق بلا استحياء إلى نفسي، ينهش الروح بأسلحة الخوف. احتل الحزن ملامحي، فكيف له يتركني بلا إجابة، هاتفته كثيرًا وقد انقبض كل شيء بداخل. نحن على الدوام نتكلم، في العمل وخارجه، حتى مع الأصدقاء، لابد وأن نتكلم، أين هو يا ترى..؟ تركت له أكثر من مئة رسالة بلا إجابة.

ظننت أنه يومًا وسوف يمر بما فيه من حلو مر، كان ظني خائبًا.

كان بداية لعاصفة سوداء قاسية، فالقادم كان أسوأ مما مضى، بل كل ما مضى من حياتي، بكل ما فيه من سوء، لم يكن سوى نقطة في بحر هذه اللعنة التى أنا فيها.

تغير أحمد كثيرًا، بات يعاملني بجفاء وقسوة، كيف يحدث هذا ونحن عاشقان..؟ كيف يجرؤ أن يهينني الآن بعد هذا العشق الجميل..؟ هل مات الحب الذي في قلبه، أم مات قلبه..؟

أيتلف هذا البريق العجيب كما تتلف خلايا عند الموت..؟ إن كان للحب هذا المصير الصادم؛ فقد ضيعنا فيه أوقاتنا.

يومًا بعد يوم تزايدت الأعذار، حتى إنني بت أحفظ ما سيلقيه على مسامعي، والأدهى من كل شيء أنه بات يسكر. نعم بدأ يشرب الخمر والمخدرات حتى صار مدمنًا. تغير كثيرًا ذاك الحبيب، كأنه شخص آخر لم أره من قبل.

كثرت كوابيسي المزعجة في تلك الفترة المميتة، حتى إنني أصبحت أخاف النوم؛ لأنه يترك آثارًا مخيفة لحروق وتعذيب فوق جسمي، الذي تشوه معظمه.

فترت علاقتنا حد التلاشي، لدرجة أن الحديث الذي كان مستمرًا، لم يعد سوى بضع دقاق كل أسبوع، أو أسبوعين. أصبحت غريبة بالنسبة له، أنا التي لم أعد أرى الدنيا سوى بعينيه، تحملت قسوته وجفاءه؛ كي لا يتركني للأبد، فلا حياة من دونه.

لا أعرف لماذا دخل حياتي، لماذا يخرج منها بهذه الطريقة..؟ لماذا تسلل إلى كل كياني واحتل الروح والجسد.؟ إلى متى سأظل أعاني منك أيتها الحياة الخبيثة..؟ ليتني لم أره أبدًا ليته عدم، ليتني أموت.

كان مصرًا على إيلامي، زرع الوجع في كل مفاصلي، فقد اعترف أنه لا يحبني، وأنه لن يفعل، وأن الذي يكنه لي ليس حبًا، بل مجرد إعجاب رخيص.

أدهشني الكلام، أحسست بأنني مجرد جسم جميل أذبله الحب، لم يرتق ليكون جسم فتاة عاشقة من بين فتات البشر، رغم أنه كامل التنزيل. إن كان قد أعجبه التراب الذي أنا منه وحسب؛ فلم علّق روحي المسكينة بروحه غير المُحبة إلى الأبد..؟!

البكاء لازمني، أرهقني، فقد اعترف بعدم حبه لي، ولم أزل مستمرة في الحديث إليه، لعله يرجع إلى عهده، لعله يسقيني الماء الذي أريد، لعله يحبني. لكنه لا يعتني بشيء مما يدور في رأسي أبدًا.

في آخر مكالمة لنا، وكانت صوتًا وصورة، رأى شيئًا يتحرك من خلفي، بسرعة كالظل.ومن ثم صوت صرير باب غرفتي صرخت فزعة وأدرت له كاميرة هاتفي ليرى ماأرى..قد صار الباب متوحدا مع الجدار وتحطم الأثاث ومن ثم أشتعلت النيران حولي.. صرخ في وجهي: «هل رأيتِ ما يتحرك من خلفك..؟ أنت وراءك جن، من أجل ذلك ابتعدت قبل أن ينجسني هذا الحب الواهم، لا تسحري لي كي أحبك، أنت كافرة، ابتعدي عني أيتها النجسة، لا أريد رؤيتك مرة أخرى، لا أريدك، لا أريدك.»

قتلني بكلامه القاسي، وتهمه الباطلة، لم أستطع الرد عليه سوى بدموع لم تنته، حتى بانتهاء المكالمة للأبد.

شممت رائحة غريبة، لا أعرف مصدرها، فلم أهتم. حاولت استدعاء سيفري، بعد فترة من الوجع والألم غير المنتهيين، لكنها لم تأت. لم يحدث من قبل أن قمت باستدعائها وغابت عني، يا لحسرتي. أين سيفري وصالح وسبحان الله وهاروني..؟ لماذا يتركونني وحدي في هذا الوجع الدائم..؟

وقعت عيني على الحائط المقابل، فاكتشفت مصدر الرائحة الغريبة. ثمة دماء على الحائط وثمة رسالة أيضًا. فبالدماء كتبت كلمة العهد كبيرة، وفي الأسفل قليلًا، برزت صفحة من جلد بشري تم سلخة حديثًا، كتب بداخلها العهد. عن أي عهد تتحدث هذه الرسائل يا ترى..؟

الألم يجتاح جسمي، قلبي يخفق بشدة، رأسي مثل البندول كعادته.

ما الذى يحدث لي..؟

الوشم راح ينزف الدمَ بغزارة..؟ تكومت على نفسي كالجنين من الوجع. الذي أخرجني من حالتي ذلك الذي خرج لي من العدم، يطوف الحجرة منتظرًا إنهاء المكالمة. لم أره من قبل، عملاق وذو رأس حليق. استعدت من رباطة جأشي القليل، حاولت الوقوف لكن الألم أسقطني، أمسكت رأسي من شدة الألم، أبديت له نظرة استجداء: «من أنت.؟»

كان أثير ابن مرة، وقد جاء في أمر عاجل، لا يملك له الكثير من الوقت. سألني عن حال تواصلي مع سيفري ورفقتها. لم أتذكر بالضبط آخر مرة رأيتها، كنت غارقة في استجداء حب أحمد، لكن ربما لم أرها من أسبوع تقريبًا. تعجب للأمر: «ليس من العادة أن يتركوك وحيدة كل هذا الوقت، لماذا لم تفكري في الولوج إلينا..؟»

- لم أفكر في الأمر، ولم ألج إلى هناك وحدي.

ظن أنني تهت في الحياة ولهًا، وأن الحب أنساني كل شيء، حتى ما يدور في أحلامي، تلك التي لم أعد أقصها عليهم. ذكرني بالحب، الذي شهد انتهاءه، بتلك الطريقة المذرية: «لم أعد أقص أحلامي؛ لأن سيفري ليست موجودة، لكن هناك شيئًا مهمًا للغاية، يجب أن تعرفوه.» قلت، فانتبه لي: «ماذا..؟»

- عرفت مكاني.
- مكانك..! أي مكان تقصدين..؟

في حلمي الأخير، خلال هذا الأسبوع، فتحت بوابة كانت قد ظهرت لي تحت غرفة السجلات، كانت أسفل الجدار التي علقت عليه صورتي. عندما دلفت منها؛ وجدت مملكة كبيرة، عرفت أنني مليكتها. لم أهتم بالأمر، لكن شيئًا لفت نظري بشدة، لا أعرف ما الرابط في ذلك، إذ وجدت المعزاة الذهبية التي رأيتها في حلم الكوخ المهجور. أخبرني بأنها ونيستي، وأنني وجدت المملكة المفقودة، ولذلك وجب علينا الرحيل إلى المجلس في الحال، من غير أن تحل محلي نور الفجر، لأنني لجأت إلى آخرين مما قمت بتسخيرهم.

انتقل بي إلى مجلس الحكماء، الجميع موجودون، سويا رفقة. أخبرهم أثير بما لدي؛ فهاجوا جميعًا، حينئذ قرروا جميعًا أن أقوم بفتح البوابة أمامهم؛ حتى يتيقنوا من صدق رؤياي. قطع الأمر علينا دخول أحد الحراس حاملًا رسالة، عندما قرأ الفارس الأبيض فحواها؛ لانت ملامحه قليلًا، قال: «لم يعد الأمر لغزًا، لقد كسر جزء من رموز حماية أشيانا، فلم تعد ترى سيفري والباقين، وهم الآن أسرى أتباع دهنش.»

تابع الحديث، لنعرف أن خبر المملكة المفقودة قد تسرب، وعلمت من خلال ذلك أن الرؤية إن كانت صادقة فإن دهنش وجهمار لن يتركانني، ولربما تكالب علي الملوك السبعة، لذلك يجب التصرف بحكمة وحذر: «فبفتح المملكة المفقودة ستكون أشيانا مكتملة القوى.» ختم حديثه بذلك، وأمر الجميع بالإسراع لتفقد الأمر.

قاصدة الجدار المتفق عليه، سرت في مقدمتهم، وفي القلب خوف من القادم. عندما وصلت أصابني ألم شديد في رأسي، أغمضت عيني وكدت أسقط على الأرض. لحظات مرت كدهر، وما أن فتحت عيني، حتى وجدت ما يشبه الأوردة باللونين الأحمر والأزرق، تتخلل يدي، وقد صار لون جسدي ورديًا، صدمتني بشاعة يدى، غير أنني سرعان ما اكتشفت أن جسدي كله أصبح هكذا. وقد طال شعري بحيث أجره من خلفي، واستحالت عيناي

صفراوتين، كنت خائفة فزعة مما أصابني، حينئذ قال الملك ديباج: «يبدو أن الأمر حقيقة، لقد تحولت. لكن لماذا أخذت شكل البشر طوال حياتها..؟ ثمة خطب لا نعلمه.»

أوقف تقدمنا عندما نظر إلى ساعدي، إذ كان به وشم لعقرب، حاول أن يثنينا عن التقدم إلى أن نعرف كيف سبب تحولي، لكنني رفضت وتقدمت.

كان أسفل قدمي بضع درجات صنعت من معدن، هبطت معها للأسفل حتى وجدت الباب، فتحته بثقة عمياء؛ لتظهر المملكة أمام الجميع. أدهشهم رؤيتها، سيرنا للحظات داخلها ليظهر الكوخ الذي كنت أراه بأحلامي، دخلته بكل سهولة ويسر، حاول الجميع الدخول فلم يستعطيعوا، يا للدهشة لم يقبل سواي.

تابعت سيري بداخله، معلقة نظري على كل شيئ فيه: ثريات معلقة ينبعث منها ضوء قرمزي، مرصعة بالأحجار الكريمة، يتوسطها حجر من الزمرد نقشت عليه صورتي. أرضية صخرية عليها نقوش يدوية دقيقة تدل على براعة مشيدي هذا الصرح العظيم. الجدران تبعث في روحي الطمأنينة بألوانها ونقوشها البارزة الهادئة. سلالم معكوسة على شكل حرف إكس، تؤدي للطابق العلوى. لكن لماذا لا يوجد أحد، ولماذا نقشت صورتي على الثريات..؟

ألقيت السلام فلم يرد أحد، أعدته بصوت عال مرة أخرى، لكن لا أحد. غير أنني سمعت صوت الفحيح يجيبني، ووقع أقدام تقترب خلفي. التفت إليه، لكن لا شيء. مرت لحظة واحدة وتبدل المكان، أصبحت داخل اللامكان، حيث ظهر أمامي مخلوق له أعين القطط مرتديا ثيابًا سوداء، له رأس كرأس الصقر، وجسد حصان وله جناحي طائر العنقاء، ينفث دخانًا أسود له راحة الكبريت. ما هذا التكوين العجيب يا الله..؟

من ثم ظهرت مخلوقات أخرى من حولي، يسجدون لي. اقترب المخلوق بخطى واثقة، وقد تحول لشاب وسيم. عندئذ توهج العقرب الوشم على ساعدي، ليتماهي ضوؤه مع جسمي، فرحت أشع بضوء قرمزي خفيف، انحنى الكائن المتحول أمامي: «أهلًا بعودتك ملكتي أشيانا.»

لم يعجبني الأمر: «لست ملكة، أنا اسمي نارين.»

أبدى ابتسامة خبيثة، ففرقع إصبعيه بقوة، ليظهر من خلفي عرش عظيم من الذهب الخالص، منقوش عليه صورتي، ومن ثم ظهرت حولها رموز كالتى على جسمي، ورسومات تشبه ما يكون على جدران المعابد، وخلف العرش جدار عليه صورتى أيضا منحوتة بالذهب، وأنا ممسكة صولجانًا عظيمًا: «أنتِ ملكة المملكة المفقودة، لقد وجدتها وفتحت أبوابها لكِ، هنا عرشك ومملكتك وحلفاؤك، ستتذكرين كل شيء قريبًا، ولكن عندما تكتمل كل قواكِ.» قال وهو لا يزال على ابتسامته الخبيثة، غضبت: «لست ملكة، قلت لك، ولن يشغلني كل هذا الهراء.»

غضبت لكوني وحيدة، أريد الرجوع إلى المجلس. يتوهج جسمي لكنه يؤلمني كثيرًا. تذكرت على الفور ما تعلمته على يد سيفري والشيخ طه، قمت بتلاوة تعويذة حقل العزل، وبعدها تلوت قسمًا آخر، عدت على إثره خارج الكوخ. كانت جيوش المجلس مصفوفة على أهبة الاستعداد، للحرب.سألني راكان عما حدث، أخبرتهم عن كل شيء رأيته، عندئذ طلب الملك مرة بالرجوع في الحال. عدنا إى غرفة السجلات، قلت: «لابد وأن ترجع سيفري ومن معها، ولابد لي أن أعرف كل ما يحدث من حولي.»

لم يجبني أحد، فقد دخل علينا محرز الأحمر، أحد الملوك السبعة للأرضين، المأخوذ بناصيته من خلال سمسمائيل، أحد الملوك العلوية. له من أسماء الله تعالى "شكور" ومن الحروف حرف "الشين" ومن الأسماء السريانية الحاكمة "دمليخ دمليخ" وله من البروج "العقرب" ومن أسماء القمر "ليافور" ومن أسماء الطهاطيل "قهطهطيل" ومن الملوك الموكلون بالعرش "طكيل" ومعدنه الزئبق، وجوهره العقيق الأحمر. عرفت ذلك وحدي..أو بالأحرى مما علمني شيخي ، كان بصحبته الملك برقان، اندهش الجميع لقدومهما، دقق الفارس الأبيض نظره فيهما: «ما الذي أتى بكما، وكيف وصلتما إلينا..؟»

«دع خلافاتنا جانبًا أيها الفارس.» قال الملك برقان، أبدى نظرة إلى الملك محرز يتقوى بها، تابع: «يجب علينا الاتحاد الآن، لأن هناك ما لم

تعرفه.»

تعجب الجميع من قوله، سأله الفارس الأبيض: «ماذا لديك يا برقان..؟»

- أشيانا ليست بشرًا كما تظن، وإن شئت سأخبرك الحقيقة بالدلائل والبراهين، لكن في المقابل من ذلك نقوم بالمعاهدة معها وضمها إلى حلفائنا.
- هات ما عندك ومن ثم نرى العهود يا برقان.
- هي أشيانا وليست نارين، وهي ابنة الملك الأحمر، وليست من البشر.

منذ عشرين عامًا، ذهبت امرأة لساحرٍ يُدعى جمال، وكانت ترغب في إنجاب صبي يظل حيًا، فجميع ذكورها يموتون بشكل غير طبيعي. فطلب منها الساحر أن تأتي بالقرابين في منتصف الليل إلى قبر بعينه، إلى آخر القصة التى نعلمها جميعا. ولكن لم يكن هناك سحر بل استدعاء لإبليس الأكبر، كان جمال يريد التحالف معه، وقد كانت المرأة قربانًا بشريًا،وسبقها خمسة رضع ليكون قربانٍ ذو قيمة وعندما دخلت المرأة المقبرة عاشرها الأحمر، فلقد كان يعشقها ويقتل أبناءها حتى يدمر حياتها وتكون له. أغضب الأمر إبليس على الساحر، لأن عدم دقته واختراقه لميثاق العهد جعل المرأة حاملًا، كانت حاملًا بي. وقد ماتت وهى تضعني، أما التي لم ترضعني أبدًا، والتي لازلت أظنها أمي، فهي زوجة أبي، ولذلك كنت أرفض الرضاعة. كان يأخذني الأحمر ويقوم برعايتي، ولولا تدخل الملوك العلويين لأخذني للأبد.

عندما علم دهنش بالأمر، بعث رسوله إلى الأحمر من أجل التعاهد على تركي فى عالم البشر؛ حتى أكون حلفية لهما وأعينهما على كل ما يردونه في المستقبل. ولما علم دهنش بوقوع جهمار في عشقي تخاصما، ووقعت بينهما حرب ضارية، راح ضحيتها الآلاف من القبيلتين. كان الأحمر قد وجد مخطوطة قديمة، بها نبؤة عن ملكة ستولد من الجنسين: البشر والجان، تحمل صفات الاثنين، وستُفتح لها أبواب المملكة المفقودة، وستملك كنوزها وعلمها وقوتها، وأن تلك الوليدة سيكون لها شأن عظيم، ولهذا

يلاحقني دهنش وجهمار وبعض الملوك للظفر بالتحالف معي.

كان وقع الكلام ثقيلًا على الجميع، ليس علي وحدي. على إثر ذلك أدرك الفارس الأبيض وجميع أتباعه خطورة الأمر، متيقنين بوجود جاسوس بينهم، أفشى سري الذي لا يعلمه إلا هم. نزلت الدموع من عيني غزيرة: «هل ماتت أمي وأبي جن مثلكم..؟ وكنتم تعرفون ذلك..؟»

قال راكان: «كنا نعلم يا نارين، ولهذا كنا نرعاك ونسهر على حمايتكِ، لم نرد أن يصل إليكِ أي منهم، ففي ذلك هلاك لكلا العالمين. لن يتركك أحد إلا بعد أن تقومي بالعهد، ولأن ذلك العهد كفر، فقد حرصنا عليكِ حتى لا تهلكي. والان يجب وأن نكتشف الخائن الذي بيننا.»

فقال الفارس الأبيض: «علينا تحرير سيفري ومن معها، عندها سنعلم من هو الخائن الحقيقي.»

قال الملك محرز: «أستطيع تحريرهما في الحال.»

كان محرز قادرًا على ذلك، فاستسمحه الفارس الأبيض أن يفعل. لم تمر سوى لحظات من صمت غريب، لم يقطعها إلا دخول سيفري ومعها صالح وهارونى ونور الفجر. احتجت إلى قول شيء، لكنني طلبت خروج هاروني ونور الفجر قبل الحديث، أخرجهما الفارس الأبيض، فارتاح قلبي.

بداخلي شك كبير أن يكون الجاسوس واحد منهما، ففي كل مرة أكون فيها هنا، تجلس نور الفجر مكاني، وأظن أنها فرصة لتطلع على مذكراتي، ولا أدري لماذا يطلب هاروني صحبتها، بحجة المحافظة على الأمر بأن لا يشك أحد في شيء، لكنني أشك في نور الفجر أكثر، ربما لأنني في الفترة السابقة كنت كثيرًا ما أغيب في المملكة، هذا إلى جوار الكوابيس التي كانت تجعلني في غير وعي. في هذه الأوقات كنت أشتم عطر نور، كنت أشعر بوجودها كثيرًا، لكنني لم أصارحها، والأهم من ذلك أن هناك مكالمات كثيرة صادرة من هاتفي لم أجرها، ومن المفترض أن نور تأخذ مكاني عند الضرورة فقط، فما الذي يجعلها تجري مكالمات وما الذي يجعلها تفعل أشياء أنا لا أفعلها..؟

لم أكن أرتاح لنور أبدًا، نظراتها وتصرفاتها لم ترحني على الإطلاق.

فجأة لم أعرف ما حدث، سقطت على الأرض وذهبت إلى عالم آخر. لا أدرك هل أنا يقظة أم لا، رأيتني أغفو على سريري وكأن روحي محلقة بالغرفة، نعم فقد كنت أراني من الأعلى نائمة متخذة شكل المميماوات، يلتف حولي اثنا عشر كاهنًا من أتباع دهنش، وقد تحول باب غرفتي لذاك الباب الذي يحمل النقوش والطلاسم، وقد كتب على الجدران المواجهة العهد، ولكن تلك المرة كانت الحروف تنزف دمًا، نعم كانت تفوح منه الرائحة المعدنية التي تخص الدماء. انشق الجدار الآخر من خلفي، دخل منه شاب وسيم ذو لحية، يرتدي ثيابًا خضراء، ومعه واحد آخر يرتدي الأبيض، فمد صاحب الثوب الأخضر يده لي، أخذني إليه، وكأن هناك عالم آخر داخل الجدار. لقد رأيت رجالًا يرتدون الأبيض، يجلسون في حلقة ويذكرون الله، ثم التفت للرجل وسألته: «من أنت..؟»

فأجابني صاحب الثوب الأبيض: «ألا تعرفين من هذا..؟ إنه السيد البدوي.»

لم أعرف ماذا يريدون مني، ولم أصدق أنه السيد البدوي، لكنه صدَقَني القول بذلك، وعرفني على الذي بجواره، الإمام علي زين العابدين. كان يريد مني أن أقترب من الله أكثر، لأن النفس حرون، وإن اتبعتها فسوف تقدم لي الشر، فأكون من الغاوين. بعد حين عدت أحلق بروحي في غرفتي مجددًا، وقد رأيت أن جسمي بالفعل تحرك نحو الباب، ومن خلفي الكهنة، وقد تحرك الثعبان المنحوت على الباب، ليلتف بجسمة حول طائرين مقابلين لبعضهما، ليوصد الباب بجسمه. كنت أسير وكل جوارحي تمنعني من التقدم، لكن عقلي يرى أن هذا هو الصواب، وإن أتممت العهد ستزول آلامي، سيكون الغد أجمل.

هكذا عدت إلى وعيي، لأجدني مع الملك الأبيض وحولي الجميع. وقد عاد جسمي إلى صورته الأولي، أدرت وجهي فلمحت ابتسامة خبيثة على شفاه الملك برقان، لم أفهم معناها.

سألتني سيفري عما حدث لي، والأغرب أنني لم أخبرها الحقيقة، فقد

أخبرتها أنه مجرد إرهاق وهبوط لا أكثر ولا أقل. حيث قفز إلى ذهني أنها لن تعلم الحقيقة، أنى لها ذلك وأنا بلا قرين. طلبت العودة إلى المنزل، غير آبهة مطلقًا بمن يكون الجاسوس. تجاهلت الأمر برمته، فكل ما أفكر فيه هو العودة إلى المنزل، على وجه السرعة. عندما وصلت لغرفتي طلبت من سيفري وراكان الذي لازمني بأمر من الفارس أن يتركانني لأرتاح. ما أن اختفيا من أمامي حتى تلوت تعويذة الخفاء، والتي تجعلني خفية عن أعين الجن إلا من أريد. أخرجت كتبًا ومخطوطات لا أعلم مصدرها، كل ما أعلمه أنها بحوزتي منذ بضع سنين. وجدتها بغرفتي وكثيرًا ما حاولت التخلص منها، ولكن دون فائدة. فهي بلا عنوان ولونها أصفر عتيق ولها رائحة كريهة، كتبت كلها بخط اليد، ومعظمها بالقبطية والسريانة، أما اللغة العربية فكانت شحيحة.

وكأنني منومة مغنطيسيًا، أو هناك من يوسوس لي بما علي فعله، فلقد اخترت كتابًا بعينه، قمت بفتحه على فصل معين، ومن ثم أحضرت كل ما كتب. نعم فهناك تعويذة أخرى كنت قد صنعتها من قبل، لتنقلني من مكان إلى آخر، يا الله عندما أتذكر أنني لأجلها أحضرت غرابًا وقمت بوضعه حيا في النار؛ حتى أحرقه وأجمع رماده؛ يقشعر بدني.

ذهبت إلى وسط المدينة، تحديدًا الغورية التى لم أزرها من قبل أبدًا. توجهت إلى محل عطارة بعينه، أخبرت صاحبه بما أريد، فرمقني بنظرات مريبة، لأن مظهري وملامحي لا تدل أبدًا أنني أمارس السحر. لكن وكأن هناك من يجبر الرجل على تلبية احتياجاتي، كنت أنظر له بشموخ وجبروت وكبرياء، كأنني قد تبدلت. نعم تغيرت للأبد.

فأنا التى قهرها حبيب اتخذته موطنًا وهجرني، دون ذنب، أنا من خدعت وعشت في كنف امرأة كانت تمثل دور الأم، ولم تكن تعلم ما هي الأمومة كانت فقط تمارس تلك الأمومة مع ابنتها، ليس معي. لم أتذكر أنها ضمتني إلى أحضانها ولو مرة واحدة، لم تقل يومًا كلمة طيبة، لا هي ولا ذاك المدعي الذي كنت ألقبه بالأبوة، ذاك الذي يمثل جيدًا أمام الناس أنه الحنون الوديع، وفي الواقع هو قاس مخيف، يقوم بسحلي من أجل ارضاء ابنته.

أخذت من الرجل كل ما طلبت، عدت أدراجي لأرسم على أرضيتي تلك الرسمة، والتي هي نجمة سداسية بداخلها وجه إبليس الأكبر.

أضأت الشموع وأشعلت النار في دائرة كنت رسمتها حول النجمة وقمت، باستدعاء إبليس بتلاوة صلاوته، وترانيم استدعائه. لقد تجبر قلبي كثيرًا، لم يعد هناك ما أخشاه ولست أملك ما أخسره. لحظات وتبدل الجو إذ فتحت بوابة من الجحيم، كأن سبعين شمسًا في غرفتي، من ثم دخان كثيف لمحت على إثره من يقف خلفي قائلا: «أحسنت أشيانا، كنت أعرف أنك ستفعلين الصواب.»

لم يعد هناك ما يخيفني، نظرت في وجهه القبيح مباشرة: «دعك من هذا الهراء، لم أفعل هذا من أجل سماع ما تقول، فكما قال ابنك دهنش: العرض مرة واحدة، إما بالقبول أو الرفض، لن يكون لديك فرصة التفكير، سوف تأخذ قرارًا نهائيًا في الحال، ما رأيك..؟»

- هاتي ما لديكِ.

أردت التحالف معه، مقابل أن يعرفني على باقي القدرات الخاصة بي، وأن يزيدها لي، وأن يعلمني باقي أنواع السحر والسحر المضاد، كالمحبة

والتفريق، وهكذا. وأن نتفق على كلمة أستدعيه بها ويستدعينني بها، كي لا يكون بيننا رسل، فيكون التعامل بيننا بشكل مباشر، والأهم ألا يحضر إلا بإذن مني، هذا كان عرضي بشكي مبدئي.

_ أوافق، ولنتم العهد الآن.

كنت أعرف أنه سيوافق، وأنه سيعرض علي العهد، لكن ليس بهذه السهولة. كان لابد وأن أعترض على العهد: «عهدي معك كلمة بلساني، لن يكون بيننا أي عهود أو طقوس، ستجرب، ولن تخسر شيئًا.»

كان يباغتني بنظرات التعجب، وبداخله يتساءل عن الذي بدل حاله. كنت أشعر بحيرته، لكنني لم أهتم، كل ما كنت أسعى إليه أن يعلمني ما أريد. أبدى ابتسامة وأومأ بالموافقة، أمسك يدي: «وهذه هدية مني، لأثبت لك حسن نيتي.»

تشكلت يدي برموز كثيرة، وعاد وشم العقرب للظهور، يتحرك بطريقة متواصلة، شعرت بوخز شديد داخل رأسي، وهواءً باردًا ينعش عقلي، كأني وسط إعصار يجتاح كياني. أغمضت عيني وقد أدركت ان عقلي استقبل المزيد من العلوم الشيطانية، التي أحتاج إليها، سحبت يدي فإذا بها تشتعل مثل الجمر، لم اهتم: «ما هو أول طلب لك من المملكة، باستثناء رؤية السجلات..؟ »

- لماذا لا نبدأ بالسجلات..؟
- ألم أقل لك أنني لست غبية..؟ على كل حال أنت الآن حليفي، وكل كنوز مملكتي تحت أمرك: قوة جنودي، وقوتي قبلهم، لكن العلوم ملكي بشكل مؤقت، إلى أن أكمل الاطلاع عليها.
- لا بأس، لكن عليك تقديم هدية لتثبتي صدق ما تقولين، مثلما فعلت.

_ اطلب كل ما تريد، لكن أتمنى لو يكون طلبك مقبولًا، فلا تطلب شيئًا تعرف من داخلك أنني لن أنفذه.

_ لك ماتريدين، سأطلب ولكن ليس الآن، أعلم أنك على عجلة من

أمرك، سأرحل وعندما نتقابل مجددًا سأخبرك.

_ لا بأس، موعدنا كل يوم بعد منتصف الليل.

_ يناسبني ذلك كثيرًا.

اختفى إبليس، وسكنت غرفتي التي تبدلت رائحتها وحالها إلى الأبد.

يا ترى أين أنا منك الآن يا حبيبي..؟ كيف لقلبك العاصي أن ينساني..؟ كيف ينساني وأنا ترانيم الحياة..؟ لو أنني فقط أستيطع رؤيتك. بالفعل أن أستطيع، فلما لا أذهب إليه..؟ أراه، أتحسس كفوف يده، أهيم في عينيه، أرتمي في حضنه الدافئ.

من الأفضل أن أتصل بها أولًا، علـه يجيب. أحضرت هاتفي وطلبت الرقم، وفجأة أغلقت الخط قبل إتمام الاتصال. لقد وصلتني عدة رسائل على الماسنجر، هناك رسالة من أحمد، بل عدة رسائل في أوقات مختلفة.

يسأل عني، يطمئن علي، يعتذر على كل ما حدث منه، فقد غبت أسبوعًا كاملًا. لقد اشتاق إلي كما اشتقت إليه، لا أطيق صبرًا، أتمنى لو أرى طيفه، لكنه باع هواي واستغنى.

يـــوم أول دروس الســـحر العتيق..بدأتـــه بـــتلاوة صـــلاوتي الجديـــدة...

يا إله خانة الحظ ومنع المديح

يا أمير الغربة المظلوم

يا من علمتنا عبادة الدم وحب الأسمال

أبانا الذي تقبلنا بعد أن طردنا الله

المجد والمديح لك في السماء والجحيم

تقبل مني صلاتي..

حضر دهنش نائبًا عن إبليس الأعظم، وهنا نثر علي ترابًا مقدسًا، فاكفهر وجهي، وباتت عيناي سوداء لا بياض فيها، ثم طلب مني رسم نجمة إبليس مجددًا والجلوس بمنتصفها وبدأ تعليمي. كدت أتقيأ من كم الدماء التى رأيتها، حيوانات نافقة، جماجم بشرية، أعضاء يكتب عليها، جلد بشري. سأفقد وعيي من كثرة الاشمئزاز، لكن ما يجعلني أقوى هو هدفي الذي أصبو إليه. سأملك الكون بيدي ذات يوم، سأحقق عدلًا حُرمت منه، سأمنح كل ما لم أحصل عليه..سيكون في الكون عهد جديد، هو عهدى.

كثرت زياراتي للملكة، وكثيرًا ما كنت أتجنب مجلس الحكماء، وكنت أواظب على التعويذة التى تخفيني عنهم. تعلمت الكثير من إبليس، حمل جسمى الكثير من الرموز، رغم أن بعضها أرهقني بل أهلكني؛ لأنها عكست رموز حمايتي.

فقدت إيماني وبت على غير طهارةٍ طوالَ الوقت، حافظت على كلمتي التي أعطيتها لإبليس وصدقت بوعدي له، فبت موالية له في كل معاركه في العالمين. بدأت في علاج حالات من المس والسحر، ومن ثم أقوم بسحرهم حتى يذاع صيتي، ولكن بعيدًا عن بيتي وأهلي. كنت على الدوام أجعل واحدًا من بين جنودى من الجن، يتخذ شكلي أثناء غيابي. أصبحت شخصًا آخر، أنا نفسي أخشاه وأرتاع منه. حتي إبليس تكبرت عليه لأنني كنت أعلم أنه لا يستطيع أن يأذيني. أخذت منه كل ما أردت من العلوم، ومن ثم أوليته ظهري، ولأنه لا يربطني معه عقد؛ لم يقدر على فعل شيء سوى التضرع إلي

تغيرت أحوالي كثيرًا، لكنني لم أنس أحمد. كان حبي له نبراسًا يضيء عتمة النفس، أهرب من كل شيء إليه، أتصفح صوره وأستمع لرسائله الصوتية، فيغفو قلبي بشوق عظيم وأنسى كل الظلام الذي حل بروحي. كان حبي له وظلمه لى هما السبب الرئيسي في تغيري.

هو من جعلني أكره الحياة وألعن كل ما فيها، وما قهرني اكثر أنني لم أكن أخفي عليه أي شيء، وللأسف أذلني وكسرني، لهذا أصبحت على ما أنا عليه الآن. .كنت أختبئ بين عيونه من قسوة العالم، لكنه هجرني وخان

عهدي، لم يحفظ هوايا ولم يعيرني اهتمامًا كما أعرته، كان هو كل حياتي ولم أكن شيئًا عنده.

لا أحد يلومني على ما أنا فيه الآن، خدعني أبي وزوجته. الآن أعرف لماذا لم تضمني ولو مرة واحدة فقط، لماذا كانت تهتم بابنتها ندى، ولكن ما لم أفهمه أبدًا، لماذا يخنع لها أبي..؟ لماذا لا يثور يومًا لأجلي..؟ ألست ابنته..؟ نعم لست ابنته، بل ابنة الأحمر، لكنه لا يعلم. على كلٍ كان يجب أن أتخلص من طيبتي وصفحي وغفراني، الآن يجب علي تغيير عهدي، لن أسمح لأحد بإهانتي أو جرحي أبدًا، ومن الآن لن أساعد أحدًا.

سأكون الظلام الكامل وسأذيق الجميع ما ذقته سلفًا. لكن يا ترى بمن سأبدأ..؟

لم تكن زوجة أبي تشغلني ولا ابنتها، لذا سأتركهما الآن. ما يشغلني هو أبى الملك الأحمر وأعوانه، نعم لقد تركني من أجل تحقيق غايته، والآن تذكر أنني ابنته، فقط عندما أدرك أنني صاحبة النبوءة.

في منتصف الليل، وقد أعددت عدتي للذهاب إلى المملكة. ما أن وصلت حتى قمت باستدعاء أبى الملك الأحمر، وأعوانه، وجميع قادة قبيلة بني الأسود، وبني القماقم، ومن ثم وبعد أن أعلنت تحالفي معهم، تركت عرشي ووقفت في مواجهة أبي: «لماذا تركتني في عالم البشر..؟ كل هذا من أجل تحقيق أحلامك، لم تفكر سوى في نفسك وطموحك، لكنني قررت معاقبتك لأنك تركتني وحرمتني من أمي.»

- كيف تعاقبين أباكِ، أنا الملك الأحمر كيف تجرؤين على ذلك..؟

طرقعت بأصابعي، فظهر من العدم جنودي ملتفين حوله، قيدته بتعويذة تعلمتها من سيفري، ثم وبعد أن قررت سجنه أمرت بقتله، بالفعل قتلت أبي، ولم أبك عليه. انتفض الجميع مما حدث، فهم يعلمون كم أنا هادئة الطباع وطيبة القلب لا حول لي ولا قوة، فأنى لي بهذا الجبروت..؟ قلت لهم بصوت العدل: «هذا جاء من يفكر في الغدر بي، ولأنني أعرفكم جيدًا؛ قررت التخلص منكم، لأتجنب خيانتكم للأبد.»

قتلتهم جميعًا، في مذبحة جديدة من نوعها، ليرتاح بالي.

عدت إلى غرفتي لكنني لمحت سرادقًا ينصب أسفل منزلي، فسألت زوجة أبي التى لا تعلم أنني عرفت قصة الأمومة الكاذبة: «من الذي مات يا أمي..؟»

قالت: «الشيخ طه.»

كان مريضًا منذ فترة، لقد انشغلت عنه بأعمال الشر. اعتراني الحزن واخترق قلبي فمزقه، على فراق شيخي الطيب. كان أحن الخلق علي، كان يحسن إلي على الدوام، كان يفهمني ويفهم ما أريد، غفر الله لك يا شيخي.

الله..! لكن أين الله..؟ ولماذا يفعل بي كل ذلك..؟ لماذا خلقني هكذا وكتب علي الشقاء والحزن..؟ لماذا أنا من دون البشر أجمعين..؟ لم تقسم لي فرحة واحدة، كنت أعبده حق عبادته وأحبه وأبتهل إليه، لكنه لم يعطني ولو شيئًا واحدًا مما تمنيت، حتى الذي أحببته حرمني منه.

الآن أريد رؤية أحمد، وأكشف عنه ما أصابه، فقد علمت أن هناك سحر تفريق بيننا، ولأجل ذلك كرهني، ترى من صنعه..؟

أحضرت كل شيء حتي أبدأ في معرفة ما حل به، لكنني لا أجد شيئًا، لا شيء يظهر لا وجود لأحمد ولا قرين له، كيف هذا..؟ فرغم كل ما تعلمته لم أستطع معرفة ماهية الأمر. لماذا لا أرى قرينه..؟ هل قام بتحصين نفسه..؟

قمت وعقلي مشغول بفراق الشخ طه وبقرين أحمد، جلست على الفراش مسندة ظهرى، فإذا بسيفري تعود إلي مرةأخر، تظهر من قلب ضبابها كما كانت تفعل في بداية الأمر، وبدون أي تفكير ضممتها إلي، كم كنت أشتاق إليها. اعتدلت في جلستي، ليظهر لي من العدم مصحف وسبحة وبعض الكتب، كلها للشيخ طه. كيف أتت..؟

قالت سيفري: «يبدو أن الشخ طه أورثكِ علمه، فلكل كتاب خدمته، ولطالما ظهروا هنا، فهذا يعني أنه من طلب ذلك، ستفتح لك الكتب عن مكنونها في وقوت لاحق، ليس الآن يا نارين.»

كانت تعرف كثيرًا مما فعلت، تحالفي مع إبليس ودهنش، سألتني عن حالي وعن ابتعادي عن الجميع منذ فترة طويلة، وعن الذي غيرني. كان عليها أن تعرف أنني لابد وأن أتغير وسط هذه الحالة من اليأس، فليس لي نصب في أي شيء، حياتي غير طبيعية، أبي ليس أبي وأمي ليست أمي، أدفع ثمن شيء لم أفعله من يوم ولادتي، حتى الذي أحببته كان كاذبًا وقد كسر قلبي الذي أحبه واشتهاه: «كان من الواجب علي أن أتغير من زمن بعيد يا سيفري.»

- لا يا نارين.. أنتِ مخطئة، الله لا يبتلي أحدًا إلا ليعوضه، لعله يختبر إيمانك وصبرك قد...

قاطعتها: «ليكن ما يكون يا سيفري، أنا لم أقصر مع الله في شيء، هو الذي قصر معي في كل شيء، وقد استكفيت ولم يعد لي طاقة، الآن يجب أن تذهبي.»

- أتطردينني يا نارين وأنا...

أف على كل شيء، قمت بتلاوة تعويذة الإخفاء من جديد، بقيت وحدي ساعتين مضطربة عصبية والنار تتأجج داخلي. فقمت بالذهاب إلى مملكة إبليس التي كانت على الماء وجدرانها غير مرئية إلا للقليلين. أدهشني منظرها، غير أن نفسي اشمئزت من ريحها: «أخبروا إبليس بحضوري.» قلت للحراس، فأتى يتبختر كالطاوس بعد قليل. رحب بي وقد أسعده حضوري، يظن أنني أحتاج إليه: «أحضر دهنش الآن، فليس لي طاقة لإعادة الحديث مرة أخرى.»

لم تمر سوى دقائق حتى حضر لمجلسنا دهنش، وكان أعوان إبليس قد جهزوا وليمة لنا. فما أن انفردت بهما حتي قلت: «من يوم ولادتي وإلى الآن وأنا أتعذب بسببكما، هذا لن يحدث مرة أخرى.»

كنت غاضبة، لأن شريط الحياة مر من أمامي حزينًا له لون السواد، ضرر وشر وحرق وجروح كوابيس، الجميع يلف ويدور من حولي، والحقيقية غائبة على الدوام، وعندما قرروا إخباري بالحقيقة كان ذلك من أجل المصلحة.

وأثناء تركيزهم أشرت بكلتا يدي إليهما، فأصبحا داخل بلورة لها حقل طاقة، فقمت بعزلي حتي لا يستطيعان رؤيتي ، قمت بتلاوة تعويذة كان إبليس نفسة هو من علمني إياها، ورحلت عنه للأبد كان انتقامًا مؤقتًا. لم أستطع منع نفسي من الانتقام غير الدائم، لا أدرى لماذا أفعل كل هذه الأشياء وأنا أملك القوة..؟

ما أن وصلت لمملكتي حتي طلبت حضور جميع الكهنة والسحرة، عرضت عليهم ما رأيت من أحمد وأعلمتهم بأنني لا رأى قرينه، فإذا بجهمار يدخل إلينا دون استئذان، قال: «لا ترهقي فكرك يا أشيانا، فأحمد ليس سوى تابع لي.»

كان هو السهم النافذ منه إلي، يوصل أخباري إليه، وكل ما يخصني. أمره بجرحي حتي أفكر فيه، خاصة وأنه يظن نفسه أنسب إليّ من أي بشري. جعله يكسر قلبي ويقوم بإحراجي حتي أكره جنس البشر أجمع، وأفكر في حبه لي، لكنني لم أفعل. اكتشف خيانة أحمد له وأنه كان صادقًا في حبه لي، لذلك خطفه جهمار وسجنه في مكان بعيد في أقصى عالمه حتي لا أصل إليه فأنقذه.

أراد أن يتزوجني وفي سبيل ذلك، يتركه، وإن لم أفعل قتله أمامي. لم يهتز لي ساكن، لا يشغلني أن يُقتل جاسوس باعني لجهمار. لطالما هان قلبي عليه مرة فسوف يهون ألف مرة، ولطالما هو خائن فلا يلزمني حبه أبدًا.

صعق جهمار من كلماتي وظهر عليه الغضب، وعندما هم بالرحيل قلت له بكبرياء: «عندما تريد الحديث إلي، يجب عليك أن تبعث رسولًا أولًا.»

قمت بتقييده وأمرت بوضعه في بلورة قد صنعتها لتصبح سجن العاصين، ومن ثم وضعت البلورة بمنتصف مملكتي وأحضرت الجميع وأبلغتهم أن تلك عاقبة عصياني، فليحذر الجميع من بطشي.

غادرت المملكة وفي قلبي غصة مما أفعل، لم أكن يومًا بهذا الجبروت، ولا تلك القسوة. غادرت وشعور بالألم يجتاح ضميري، كيف أكفر وأشرك بالله..؟

كيف أتعلم ما أضر به الخلق، حتى وإن كان الأقربين ممن حولي..؟ هم من أوصلوني لتلك المكانة، كيف أفقد الثقة بالله..؟ لا إله إلا الله سبحانك إني كنت من الظالمين.

اغتسلت اغتسال الطهارة، صليت ركعتين عسى أن يغفر الله لي، ولكن لم أكمل بقية اليوم للأسف، كان شيطان نفسي أقوى من كل الأبالسة، كنت بداخلي أرى أحمد، أحمد وحسب، ذلك الذي فعلت من أجله كل شيء، نعم فعلت من أجله هو ليس لشيء آخر. كل ما أردته هو الانتقام من الذين كانوا سببًا في تفريقنا.

مرت الأيام وأنا لا أفكر بسواه، هو فقط محور حياتي.

بت على غير هدي، قلبي مؤمن وعقلي يعصى ويرفض الكفر، ونفسي تأبى الرجوع والهدي، تسعى لتدمير الجميع. فما كان مني إلا أن سجنت نفسي بغرفتي من جديد، اخترت بمحض إرادتي العزلة حتى لا أَضر ولا أُضر. كل ما كنت أريده فقط هو أحمد. مضيت أوقاتي مع صوره ومحادثاته، حتى حضرت زوجة أبى طالبة مني مساعدتها فى الأعمال المنزلية. أثناء عملي ذلت قدمي فسقطت على رأسي فاقدة الوعي.

بعد بضع ساعات أفقت في المشفى، بلا ذاكرة. لا شيء سوى أحمد، لا شيء سوى التفكير في الحب. عندما سمح الطبيب لي بالخروج لأكمل علاجي في البيت؛ كلمت أحمد عبر الهاتف، عاملني بلطف. أخبرته بأمري وبفقداني للذاكرة، وكنت متعجبة من كوني لا أتذكر أحدًا سواه.

لم أتذكر إلا ما كا بيننا فقط، وللأسف كانت حالتي تسوء نفسيًا، خاصة وأنني على الدوام أفكر فيما قاله لي عند فراقنا.

كانت كلماته القاسية تخترق قلبي لتفتته نحو مليون قطعة.

كل ثانية أصابني الحزن والضعف والوهن فيها، تذكرتها، حتى حفرت دموعي طريقها في وجهي. فقدت الكثير من وزني وأصبحت مرتاعة من كل شيء، كنت أحدثه وأنا أخشى أن يجرحني، لا أدري كيف أخاف من الشخص الوحيد الذي أشعرني بالأمان..؟

أخاف ممن كان ملجئي في الحياة. لم أكن أتذكر أي شيء عن حياتي، الأخري ولهذا عندما كنت أرى كابوسًا، كان يزعجني وعندما كنت أرى سيفري أصرخ وأهرع إلى الخارج.

يوما تلو يوم تغير أحمد، عاد لطريقته القاسية، وعاد إلى ما قاله من قبل: «أنا لا أحبك وأنت لا تمثلين أي شيء لي.»

صدمة أخرى جعلتني طريحة الفراش لثلاثة أشهر أخرى، لكن جسمي كان في الأيام القمرية يتوهج، مظهرًا تلك الرموز التي يحملها، حتى ظهرت سيفري ذات يوم وأمسكت برأسي، فتذكرتها وتذكرت كل شيء، وللأسف تحطمت أكثر وكأن عقلي قد اتخذ من الحادث ملاذًا حتى يرتاح من المعناة التي كنت أعانيها.

بعد عودتي لحالتي الطبيعة كنت، أدمنت القراءة أكثر من ذي قبل، إذ تغيرت ميولي فباتت كل قراءاتي عن السحر والعالم الآخر، الذي قطعت عهدًا ألا أعود إليه مرة أخرى، ولكن يظل هناك ما يدفعني للبحث والمعرفة أكثر، خاصة وأنني كنت أذكر ما تعلمته سابقًا، لكنني لم أكن أفهمه، وكأن عقلي أصبح معطلًا.

كنت أقضي نهاري في البحث والمطالعة، وليلي بين أحضان أحمد عبر الخيال الوهم فقط، أقرأ محادثتنا وأشاهد صوره، وأعيش معه من جديد، إذ كان يهاتفني من وقت لآخر. لكنني عندئذ كنت قد تغيرت معه، أصبحت أخاف أن أخبره باشتياقي له، أخاف أن أخبره بكلمة الحب، حتى أنني لم أعد أبدي لهفة تجاهه. وقد ظن على إثر ذلك أنني قد ارتبطت بواحد آخر غيره، لكنني ويا لتعاستي، لا أستطيع قبول أحد سواه.

الذي شغلني كثيرًا في آخر الأمر، طفلة لا أعرف كيف أُنجِبتْ، ولا أعرف لها أبًا تنسلخ منه نطفة تكبر أمامي. ارتبطت بها كثيرًا حتى إنني تعاطيت الكثير من المنوم لأقضي الوقت معها. كانت تظنني أمها، لا أعرف لم. سألتها ذات مرة فقالت أنها ابنتي من .

عدت مرة أخرى للعالم الملعون، كي أعرف حقيقة الأمر؛ فاكتشفت أن جهمار خلال مرضي وفقداني الذاكرة، كان يعمل على تكسير رموز الحماية

التي أحملها، وبالفعل تمكن مني وعاشرني فأنجبت شانيتا.

كانت هي الفتاة التي ارتأيتها منذ فترة، قبل معرفتي الحقيقية بهذا العالم الغريب.

أراد جهمار امتلاكي، أكثر من أي مخلوق آخر، فربطني به عبر الفتاة التي بدأت في كرهها عندما اكتشفت الأمر. ماذا لو كنت ابنتي من أحمد..؟ لكانت الحياة في رحابهما أفضل من أي شيء آخر.

كنت قد أدركت تمامًا، أنه لا مفر من العودة إلى عالمي الحقيقي، لأنه لم يعد لي في العالم البشري من أستطيع العيش معهم، كنت أتمنى لو كان صادقًا ذلك الذي أحببته، لكنه اختار حياته على النحو الذي تجنبني فيه، ولذلك كان علي أن أختار.

في عالمي هذا أنا ملكة ذات قوة وجبروت، وعند البشر لست سوى نكرة، مجرد نكرة. كل من أراد إهانتي أهانني، كل من استطاع جرحي جرحني، فكان لابد وأن أتخذ قراري بالرحيل من أجل حياة أخرى.

تذكرتي إلى العالم الآخر، قدمها لي الغضوب، الذي قتل لأجلي جهمار وابنته التي ولدتُها. لم يزل عاشقًا ولهانًا، يتمرس الحب على طريقته الخاصة. أحببت الوجود معه، لكنه رغم ما قدم لي، لم يستطع أن ينسيني البشري الوحيد الذي أحببته. ...ولكن

قبل رحيلي أردت أن أخبركم بمعاناتي، حتى تلتمسوا لي العذر، وتعلموا كم ظلمني الذين كانوا من حولي، وكم كان القدر قاسيًا معي، كم كانت حياتي ملعونة...وحده هو الله مايعلم ماتأول اليه الأمور...

سأرحل الآن ولكن بيني وبينكم يا المرسلون.

تمت

انتظروني في الجزء الثاني "المرسلون"

obeikan.com

مواهب صاعدة برعاية جروب كتاب متحدون

إيماناً منا بدعم كل موهوب..

سنقدم لكم مجموعة من الاقلام الشابة

نسمة مصطفى

قصه الختم

انا لست انا

لم اعلم بانني هكذا الي ان رأيت الختم

انا عبير ابلغ من العمر ثلاث وعشرون عاما اقيم مع جدتي بعد وفاه ابي وامي في حادث منذو خمسه عشر عاما طول عمري لم يكون لي اصدقاء كل ليله اري حلما لم اعرف معناه رأيت انني مقيده علي طاوله طعام ويحيطون بي اشخاص يرتدون جماجم غزلان وبيديهم الات حاده وقالوا كلمات غير مفهوم ورفعوا ايديهم وذبحوا انفسهم والدماء ملئت المكان وظهر ورائهم اشخاص اخرين ولكن هذه المره كانوا يريدون قتلي وفجأه اقوم مفزعه وخدتي بجواري وحكيت لها ما رأيت وقالت سوف يكون لكي شأن كبير وكل ليله اري نفس الكابوس وعندما اتممت احدي وعشرون عاما كان يلازمني الم في منتصف ظهري ذهبت لجدتي ورأت ظهري وقالت يوجد ختم محفور وهذا يفسر رأيتك للكابوس الان سوف افهمك كل شئ.... وانتي في عمر الثالثه اخدتك والدتك الي احدي المبروكين ليباركك ويبعد عنك الجن والشياطين وقال في يوم سيأتي لكي احد ملوك الجن ويختم علي ظهرك هذا الوشم لتكوني خليفته بعد وفاته وبظهوره علي ظهرك يأكد وفاته والان انتي سوف تعالجين المصابين من الجن والشياطين ويرفع الغطاء عن عينك لرؤيتهم وفجاه حدث كل هذا رأيت جدتي بشكل بشع ففزعت وقفزت من جانبها فضحكت وقالت هذا وجهي الحقيقي فانا لدي نفس الوشم ولكنني لم اعالج بل اقوم باعمال سفليه الان اجتمع الخير والشر في بيتآ واحد ولنري من

سبنتصر في المعركه التي سوف يخوضها الجان ‘‘‘‘

ولكن اعلم بان الغير سينتصر لقد تركتها واقمت في بيتآ اخر واتمني بان لم اري احدا اخر بهذه الملامح المفزعه

سارة الشرقاوي

أصعب أنواع الوجع...

هو ذاك الذي يصيب جذور أرواحنا..

كداء خبيث تسلل في الخفاء، فأصابنا في مقتل...

فنشر سمومة بدون إدراك منا..

لم نستدل علي وجوده إلا بعد فوات الأوان

عندما بدأت أوراقنا بالذبول...

كانها تنازع الحياة بين براثن وحش مميت فتاك....

يفتك بكل ما يقابلة من براعم أمل... أو أماني... أو أحلام

فتتساقط أوراقه... ورقة تلو الآخري.....

ليبقي مجرد جذع يابس ليس به حياه..

يتغذي الآلم علي ما بأرواحنا من أفراح...

كالنيران.... تلتهم كل ما بطريقها لتتركه.. رماد

obeikan.com

الشاعر\صلاح عبد العزيز

رحلتْ - تلعننا - في صمتِ.....
والليل الأسودُ يغمرنا
والموت يحيط بشاطئنا.....
و نموتُ و نغرقُ في الموتِ
لكنْ ريحانةُ لم تَمُتِ

ريحانةُ عُذْراً,, لَيسَ هُنا الفاروقُ
ليخرجَ غضباناً..
ويجهز جيش الإسلامِ
ليفتح طهرانا
كي يأسرَ كسرى أنو شروان
ويكسر ُ أصنام الجبتِ
عمرٌ قد مات وليس لنا

obeikan.com

عمرٌ يا أختي
ريحانة قُتِلَتِ بالصمتِ ..
ولكنْ لم تَمُتِ ...

الكل شريك في دمها
كلمات الحق مدوية خرجت من فمها
: يا أمي العالم يكرهنا
يا أمي العالم يكرهنا"
ملعونٌ عالمنا هذا...
ملعونٌ يا بنت الفرسِ
ملعون عالمنا مسخٌ
يسبحُ في رجسِ
أما الأعراب ....
فلا أحدٌ منهم في البيتِ
ريحانةُ رحلت تلعنُنا لكنْ.. لْمْ تَمُتِ

أما السلطان ؟!!
فليس له شأن بسوى الخصيان
و بنات الليل بباريسَ
و أسعار النفط بـــ داو جونزَ
و يقدمُ للبيتِ الأبيضِ

obeikan.com

ألفي قربان...
فدعي السلطان..
ريحانة تركت عالمنا... لكن لم تمُتِ

يا بنت السنة والسنّة كغثاء السيلِ
ماذا لو طاوعتِ الكلبَ
ببعضٍ من مَيْلِ ؟
لكنّكِ عاهدتِ الرحمنَ ...
و بعهد الرحمنِ وفَيْتِ
حكموا بالعيش لريحانة
ولنا... بالموْتِ
ولنا... بالموْتِ
ولنا... بالموْتِ
صلاح عبد العزيز

obeikan.com

محمد علاء....

تلاعبني قمار

- تِلاعِبني قُمار..؟
علي أكتَر حَد سَنَدت عَليه "سابَك تِنهار" ..؟
وانا هَلعَب عَـ اللي ماهوش مِلكي
صُبِلنا ياعم كاسين ويسكي / وابعَت كوينات

ليك فِـ السِتات..؟

obeikan.com

- إبعتليّ اتنين
أهي حاجَه نصَبَّر بيها العيّن
مع كام حَركه تصَبَر صبري -مع إنُه حَرام-
ما تصُب ياعم هو انتَ إمام...!
"دا احنا فـ خَمَّارَه وبيت شياطين"
ما تجيبي بوسَه / خَليهم إتنين
"عَلشان الحَظ يكون جَمبي"
إوعي استَني - عَلشان أوراقي بتِتوزَع -
تِلعب عَلي إيه..؟

عَلي أكتر حَد سَندت عَليه مَـ انتَ اللي طَلبت...!

- أنا أسِف واللهِ اتلغبَطت / إبدأ يلّا..

إستَنيٰ يا بيّه...
إيه اللي معاك تِلاعبني عَليه وِماهوش مِلكَك...؟

- واللهِ يا عم مانيّش فاكِر...
كُل اللي انا فاكرُه اني اتعَلِمت
وخسِرت كتير أكتر مَـ كسِبت - من الدُنيا-
"وعِشِقت بِنَيَّه جَميله بدرَجه تِخَلي من السَكران، فايق"

obeikan.com

ومعايا حَقايق إ.... / إستَنىٰ أمَّا اشرَب كاس
ومعايا الناس خَيالات سودَه شَكل الضَلمَه
ومعايا ظروف دايماً ظالمه / هيا اللي جابِتني الدار ديا
هيا اللي جابتني وخَلتني أللعب دِلوقت
"هاتي بوسَه كمان / واللهِ مازَ هقت'
والكاس اهو فِضي مِن قُدامي
ما تصُبي يا حِلوَه فـ كاس تاني / خَليني اسّكَر
خَليني اخسَر كُل اللي انا قولته بِـ بال مِرتاح
"حَبيتك جِداً يا صَبيَّه / أنا بيتي هِناك، وادي المُفتاح"
إجهَزي عَلي بال مَـ العَب واجي..
إبدأ يا بني...

قَصدَك إنهي...
مَـ لِعِبنا وكُنت انت الـ كَسبان

- أنا شَكلي سكِرت...!
طَب ليّه فَرحان لَمَّا انتَ خسِرت..؟

أنا أصلاً نَدمان إني قبِلت ألعَب وَيّاك
أنا هَكسَب إيه لَمَّا اكسَب مِنَك ناس بايعاك...!

- بيقوليّ كَلامُه ويستأذِن
ويسيبني ويمشي بـ كُل هدوء
"وساعِتها بَفوق..."
فَـ بَبُص لـ نَفسي وبَتحسَّر
طَب الاعِب مين / يمكِن أخسَر
المَكسَب زاد وانا مِش هَقدَر / أكسب تاني
أنا زادني الهَمْ عَشان بَكسب...

فِـ حاجات مِـ الاوَل بايعاني..

obeikan.com